الكَوكب الوَضّاء في كَشْفِ بعضِ أسْرَار الفَرَائد القُرآنيّة في سُورة الإِسْرَاء

إعداد الدكتور

عمـاد عبد الراضي أحمـد

مـدرس التفسير وعلـوم القرآن

كلية البنات الأزهرية بطيبة الجديدة الأقصر

الكوكب الوضّاء في كشف بعض أسرار الفرائد القرآنية في سورة الإسراء

عماد عبد الراضي أحمد مصطفى

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية البنات الأزهرية بطيبة الجديدة الأقصر، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: Emadabdelrady.2280@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

تناولت هذه الدّراسة جانبًا من الحديث عن بعض الفرائد القرآنية في سورة (الإسراء)، وكشفت عن سرّ تفرّد هذه الألفاظ من آي الذكر الحكيم ومجيئها على هذا النَّسق المُحكم؛ حيث وردت هذه الفرائد في هذه المواضع بأسلوب متناسقٍ، وبناءٍ محكمٍ، وترابطٍ عجيب، لتبرهن هذه الآيات بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة على أن القرآن معجز، وأنه من لّدن حكيم خبير.

المنهج: استخدمت المنهج (الاستقرائي التحليلي- الوصفي التحليلي- الاستنباطي) عن طريق جمع الفرائد القرآنية من خلال سورة(الإسراء) حسب ورودها على ترتيب المصحف الشريف، والتي لم يرد ذكرها في آيات الذكر الحكيم إلا مرّة واحدة، ولم يشتق من جذرها اللغوي سواها، ثم دراستها دراسة تفسيرية، مع بيان سر تفرّد هذه الفريدة ومجيئها على هذا النّسق دون غيرها من المترادفات المماثلة لها في اللفظ.

النتائج: العامل الأهم من وراء هذه الدراسة هو مراعاة السياق الذي وردت فيه هذه الفريدة حسب النظم القرآني الذي اقتضى مجيئها على هذا النسق المحكم العجيب، وكان ورودها لحكم وأسرار ربما أكون وفقت إلى الوقوف على بعض أسرارها، وما فاتني فهو كثير بالنسبة لما تحويه من أسرار وإعجاز.

المقترحات: مواصلة رَصْد ظاهرة الاتّساق الدلالي للفرائد القرآنية الواردة في موضوعات أخرى، والدعوة إلى تجديد قراءتنا للقرآن الكريم ومدارسته بما يحقق تدبّره وتثويره.

الكلمات المفتاحية: الكوكب- فرائد – الإسراء – أسرار.

The illuminating Planet for uncovering some unique Qur'anic Secrets of Surat Al- Isra (The Chapter of the Night Journey)

By: Emad Abdel- Radi Ahmed Mustafa
Department of Interpretation and Qur'an Sciences
Faculty of Azhari Women in New Taiba - Luxor
Azhar University
Egypt

Abstract

The present research has handled the unique Qur'anic secrets of Surat Al- Isra (The Chapter of the Night Journey). It has also uncovered the secrets beyond the uniqueness of those words within such verses of the Holy Qur'an and the reason why they were revealed in that perfect order. In addition, those unique secrets have been reported in a well-coordinated style, a perfect structure and a marvelous coherence to function as a clear- cut and illuminating evidence that the Holy Qur'an is a miracle coming from The Wise and Acquainted (Allah). The research has relied on the analytical inductive, descriptive and deductive approaches where the unique Qur'anic secrets of Surat Al- Isra have been collected according to the order of their revelation in the Holy Qur'an as they were stated only once all through the whole book of the Qur'an and one cannot find a single word that has been derived from those linguistic roots rather than the individual words stated in Surat Al- Isra. Afterwards, the research has subjected those words into a kind of interpretive study to clarify the secrets beyond their uniqueness and why they were revealed in such order rather than other words of the same meaning. By the end of the research, the researcher has referred to the most outstanding findings. For example, the most important objective of this research is to consider the context where the unique words are stated in accordance with the Qur'anic order which has necessitated their revelation in such a well- perfected pattern. The revelation of those unique words has its purposes and its secrets. The researcher may have managed to uncover a small number of those secrets and miracles in proportion to the larger number included in the Holy Qur'an. In conclusion, the researcher has proposed pursuing the phenomenon of semantic consistency of the unique Qur'anic words found in other subjects as well as calling for a new reading and study of the Holy Qur'an to achieve contemplation and meditation.

Key words: planet, unique secrets, night journey, secrets.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من أُنزل عليه القرآن الحكيم، سيدنا محمدٍ خاتَمِ الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين وبعد:

فما أجملَ الحياةَ في كنَف الله تعالى، ومعايشة كلامه سبحانه! وما أجمل أن تُصْرَف الأوقات وتُطوى اللّيالي والأيّام في تدبُّر كلام الله تعالى وتفهُّم آياته، ومعرفة أسرار كتابه الكريم! فهو كلام الله، وآياته مُنزلة من حول العرش، فالأرض بها سماء هي منها كواكب، بل الجند الإلهي قد نشر له من الفضيلة علم وانضوت إليه من الأرواح مواكب، أُغلقت دونه القلوب فاقتحم أقفالها، وامتنعت عليها أعراف " الضمائر فابتزّ " أنفالها".

وكم صدّوا عن سبيله صدًّا، واعترضوه بالألسنة ردًّا، ولعمري من يردّ على الله القدر؟ وتخاطروا له بسفهائهم كما تخاطرت الفحول بأذناب، وفتحوا عليه من الحوادث كل شِدق فيه من كل داهية ناب.

فما كان إلا نور الشمس: لا يزال الجاهل يطمع في سَرابه ثم لا يَضعْ منه قطرة في سِقائه، ويلقي الصبي غطاءه ليخفيه بحجابه ثم لا يزال النور يتبسّط على غطائه.

ألفاظه إذا اشتدت فأمواج البحار الزّاخرة، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة، تَذكر الدنيا فمنها عمادها ونظامها وتصف الآخرة فمنها جنّتها وصِرامها، ومتى وعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك في وجوه الغيوب، وإن أوعدت بعذاب الله جعلت الألسنة ترعَد من حمى القلوب.

ومعانٍ بينا هي عذوبة ترويك من ماء البيان، ورقّة تَسْتَرْوِحُ منها نسيم الجنان، ونور تبصر به في مرآة الإيمان وجه الأمان. ذلك لأن لأسلوب القرآن رونقًا وجمالًا لن تلمسه في غيره من الكتب السماوية السابقة، ولا في نتاج أرباب الفصاحة والبيان؛ لأن القرآن من أوله إلى آخره جاريًا على نظام ثابتٍ من السموّ في جمال اللفظ، ودقّة الصّياغة، وروعة التعبير، وعُمق المعنى، رُغم تنقّله بين موضوعات

مختلفة وقضـــايا متنوّعة ومواقف متباينة من القصـــص والتشـــريعات والمواعظ، إضـــافةً إلى ذلك ما اتســـمت به اللّفظة القرآنية من اتّســـاقها الكامل مع المعنى، وجمال وقْعِها في السّـــمع، واتّســـاع دلالتها ومعانيها لما لا تتّســـع له عادةً دلالات الكلمات الأخرى من المعاني والكلمات، حتى حار في نظمه- وإلى الآن -فُحول علماء العربية والبيان، ويكاد يُجمِعُ العلماء على أنه لم ينل كتاب في الدنيا دراســـات فيه وحوله مثلما نال القرآن الكريم؛ بيد أنه رغم وفرة الدراسات القرآنية، إلا أن القرآن لا يزال يستنهض الباحثين لمزيد من البحث في آفاقه الممتدّة التي لا تتوقف عند نهاية[1]. ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾[2] .

ومن الحقائق التي لا يجوز أن تغيب أن البيان العالي المتقن في هذا اللسان الشريف لا يزال منطويًا على كثير من أســـرار جودته وإتقانه، وأن الذي اكتشـــفناه من أســـراره ليس كلّ ما فيه، وأن هذا البيان لا يزال يمدّ كلّ من يتدبرونه بشيء من أسراره، وأن الأجيال تتعاقب على ذلك وكنزه المدفون في باطنه لا يفني. [3]

هذا؛ والمتأمّل في القرآن المجيد يلحظ أنَّ هناك ألفاظًا لم ترِد إلاَّ مرةً واحدة، وليس فيهِ غيرها مِن مادتها، وما مِن لفظٍ منها يمكن أن يقوم مقامَه غيرُه، أوْ يؤدي مُراده! وقد تجلَّتْ هذه الألفاظُ الوحيدة منذ بداية نزول القرآن في (سُـــورة العَلَق)؛ إذْ نجد ألفاظًا لم تتكرَّر أبدًا، مثل: {الأَكْرَمُ} - {الرُّجْعَى} - {لَنَسْفَعًا} - {الزَّبَانِيَةَ} وغيرها.

وقد انتظمتْ هذه (الألفاظ الوحيدة) المصحفَ كلَّه حسب ترتيبه، بدءاً من (سُورة الفاتحة) حتى

(١) إعجاز القرآن الكريم للقاضي أبي بكر الباقلاني- مكتبة مصر-ص:(هـ). وفرائد اسم الفعل في القرآن الكريم دراسة بلاغية- د/ السيد محمد سالم: ص ٣٨٣ بتصرف. مجلة جامعة المدينة العالمية-العدد الثاني عشر٢٠١٥م.

(٢) سورة الكهف الآية: (١٠٩).

(٣) آل حم غافر وفصلت دراسة في أسرار البيان أد/ محمد محمد أبو موسى: ص٨، بتصرف. ط الأولى عام: ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٩م- مكتبة وهبة-القاهرة-.

نصل إلى (سُورة النَّاس).

فما هو وجه الإعجاز في ورود تلك الألفاظ الوحيدة في القرآن، والتي بلَغتْ (١٦٢٠ كلمة) لم تتكرر أبدًا، بلْ ذُكِرت مرةً واحدةً فقط؟

لقد امتازت هذه (الألفاظ الوحيدة) بالتعبير عن قضـايا ضـخمة بأوسـع مدلول وأدقِّ تعبير، ما يسـتحيل على البشـر أن يُعبِّروا فيهِ عن مثل هذه الأغراض إلاَّ بِجُملٍ وعباراتٍ كثيرة! وقد مثّلَتْ هذه (الألفاظ) ضَـربًا مِن الإيقاع الطريف الأخَّاذ، والتلوين الصـوتي المُبهِر؛ الممزوج بإيقاعاتٍ نظْميَّة مشـحونة بنَغَمٍ وهديرٍ أمتعَ للقلوب والآذان، وأقوى تأثيرًا على العقول والوجدان! وقد «بلغت الجذور الثلاثية –وهي الشائعة في القرآن– التي وردت مرة واحدة، والألفاظ المشتقَّة منها (٣٦٥ جذراً) مِن بين مجموع جذور القرآن الثلاثية البالغة (١٦٢٠ جذرًا)؛ ومعنى ذلك: أنَّ نسـبة الجذور التي وردت مرة واحدة ٢٣٪ من مجموع جذور القرآن الثلاثية، وأنَّ مجموع ورود هذه الألفاظ (٥٠٨١٦) يُمثِّل ٩٨٪ من جميع ألفاظ القرآن (٥١٨٨٤)، وهي تُمثِّل قيمة بلاغية كبرى، وهي قمة الإعجاز؛ لا سـيّما أنها وردت فيما يقرب من ربع أصول اللغة المستخدمة» [(١)].

إنه إعجازٌ لُغويٌّ فيَّاض عظيم التدفُّق، لا يَحدُّه حدٌّ، وإنَّ التعرُّض لفيوضـاتهِ وتلمُّس أسـراره لا يقف عند حروف الكلمة وحدها؛ فقد شَـهِد السـياقُ في مُجملهِ بسـتانًا مُورِقًا يانع الثمار والأزهار؛ وهو ما زاد المعنَى حلاوةً في نفس القارئ أوْ السـامع! فإذا ما نظرنا وتأمَّلنا مَليًّا في تلك الألفاظ الفريدة، ثمَّ نظرنا إلى المواضع التي سِيقت فيها، حينها يتأكد لدينا أنه ليس في مقدور أحدٍ من البشر أن يَصيغ هذه الألفاظ البديعة بمثل هذه الصـياغة العُلويَّة، أوْ يُوظِّفها بتلك البراعة الفائقة؛ التي أعجزتْ أربابَ البيان وسدنةَ اللغة، وجعلتهم يقفونَ عندها مشدوهين، ويَخِرُّونَ أمام منزلها ساجدين!

هذا والمتأمل في الدراسات القرآنية وبالتحديد المتعلقة بالفرائد القرآنية يجدها قليلة إذا ما قورنت بغيرها من الدراسـات، لذا أحببت أن أعيش في هذا البحث مع جانب من إعجاز القرآن الكريم وهو

(١) دليل الألفاظ الوحيدة في القرآن، د. عصام المليجي. دار حورس للطباعة والنشر، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٢هـ.

الإعجاز البياني، وسأسلط الضوء على بعض ألفاظ القرآن الكريم التي لم تتكرر في القرآن كله حتى إن جذرها لم يتكرر في أي سياق آخر في القرآن كله؛ لِبيان سر تفرّدها، ومجيئها على هذا النسق المعجز وذلك من خلال سورة (الإسراء).

وأما خطة البحث فقد جاءت -بعد المقدمة- في ثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس، وبيانها كالآتي:

المبحث الأول: التعريف بسورة الإسراء.

المبحث الثاني: بين يدي الفرائد (ويشتمل على مطلبين):

المطلب الأول: تعريف الفرائد لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: الفرائد في الدراسات السابقة.

المبحث الثالث: الفرائد في سورة الإسراء: ويشتمل على ثمانية مطالب:

المطلب الأول: الفريدة الأولى (فَجَاسُوا)

المطلب الثاني: الفريدة الثانية (فَسَيُنْغِضُونَ)

المطلب الثالث: الفريدة الثالثة (لَأَحْتَنِكَنَّ)

المطلب الرابع: الفريدة الرابعة (مَوْفُوراً)

المطلب الخامس: الفريدة الخامسة (قَاصِفًا)

المطلب السادس: الفريدة السادسة (لِدُلُوكِ)

المطلب السابع: الفريدة السابعة (فَتَهَجَّدْ)

المطلب الثامن: الفريدة الثامنة (خَبَتْ)

الخاتمة: وهي تتضمن أهم نتائج البحث ومقترحاته.

ثم قائمة المصادر والمراجع، وفهرس المحتويات.

والله أسأل التوفيق، والقبول، والإخلاص في القول والعمل،

وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا وحبيبنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول

التَّعريف بسُورة الإسراء

اسْـمُهَا: تُعدّ سـورة الإسـراء من السـور القرآنية التي تحمل أكثر من اسـم واحد، ويرجع تعدّد أسـمائها؛ إلى ما تضـمنته السـورة من قصـص وأحداث، اشـتُقّ منها هذه الأسـماء، ولا حرج في تعدّد أسماء السورة الواحدة.

وقد بيّن الإمام الزركشي -رحمه الله- سبب تسمية السور فقال: (وَلَا شَكَّ أَنَّ الْعَرَبَ تَرَاعِي فِي الْكَثِيرِ مِنَ الْمُسَمَّيَاتِ أَخْذَ أَسْمَائِهَا مِنْ نَادِرٍ أَوْ مُسْتَغْرَبٍ يَكُونُ فِي الشَّيْءِ مِنْ خَلْقٍ أَوْ صِفَةٍ تَخُصُّهُ أَوْ تَكُونُ مَعَهُ أَحْكَمُ أَوْ أَكْثَرُ أَوْ أَسْبَقُ لِإِدْرَاكِ الرَّائِي لِلْمُسَمَّى وَيُسَمُّونَ الْجُمْلَةَ مِنَ الْكَلَامِ أَوِ الْقَصِيدَةَ الطَّوِيلَةَ بِمَا هُوَ أَشْهَرُ فِيهَا وَعَلَى ذَلِكَ جَرَتْ أَسْمَاءُ سُوَرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ كَتَسْمِيَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ بِهَذَا الِاسْمِ لِقَرِينَةِ ذِكْرِ قِصَّةِ الْبَقَرَةِ الْمَذْكُورَةِ فِيهَا وَعَجِيبِ الْحِكْمَةِ فِيهَا وَسُمِّيَتْ سُورَةُ النِّسَاءِ بِهَذَا الِاسْمِ لِمَا تَرَدَّدَ فِيهَا مِنْ كَثِيرٍ مِنْ أَحْكَامِ النِّسَاءِ)[1].

فمن أسمائها: (الإسراء) وهو أشهر أسمائها، وقد ورد في أول آية منها، والتي تحدّثت عن حادثة الإسراء بالنبي-ﷺ- من المسجد الحرام بمكّة، إلى المسجد الأقصى بالقدس(فلسطين)؛ ولم تتناول السـورة أية تفاصـيل عن الحادثة في غير الآية الأولى منها؛ حيث قال-ﷻ-: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١ ﴾[2]، وهو من باب تسـمية الشـيء ببعض منه؛ على حكم عادته -ﷻ- في كتابه

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ج١/ ص٢٧٠، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

(٢) سورة الإسراء: الآية (١).

الكريم أن يُسمِّي الأشياء ببعضٍ منها[١].

قال ابن عاشور: (سُمِّيَتْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَصَاحِفِ سُورَةَ الْإِسْرَاءِ. وَصَرَّحَ الْأُلُوسِيُّ بِأَنَّهَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ، إِذْ قَدْ ذُكِرَ فِي أَولهَا الْإِسْرَاء بالنبي -ﷺ- وَاخْتُصَّتْ بِذِكْرِهِ) [٢].

- **وسماها بعضهم:** سُورَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ [٣]. لورود قصة تَشرّدِهم في الأرْضِ مرّتينِ بسبب فَسادهم فيها[٤]. قَالَ تَعَالَى:﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤ ﴾[٥].

قال الزركشي: (وَذَكَرَ الشَّيْخُ كَمَالُ الدِّينِ الزَّمْلَكَانِيُّ فِي بَعْضِ دروسه مناسبة استفتاحها بِذَلِكَ مَا مُلَخَّصُهُ أَنَّ سُورَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتُتِحَتْ بِحَدِيثِ الْإِسْرَاءِ وَهُوَ مِنَ الْخَوَارِقِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- وَأَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ)[٦].

ويشهد له ما ورد في السنة النبوية المطهرة ومنها:

ما ورد في صحيح البخاري، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ-رضي الله عنه- أَنَّهُ قَالَ: فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْكَهْفِ

---

(١) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، لمحمد أمين الهروي: ج٢٤/ ص١٢٨، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

(٢) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ): ج٥/ ص١٥، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ج١/ ص٣٩. والإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ج١/ ص١٩٣. المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

(٤) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نُخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف أ.د مصطفى مسلم: ج٤/ ص٢٠٥، الناشر كلية الدراسات العليا، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، عام ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

(٥) سورة الإسراء: الآية (٤).

(٦) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ج١/ ص٣٩.

وَمَرْيَمَ: «إِنَّهُنَّ مِنَ الْعِتَاقِ الْأُوَلِ وَهُنَّ مِنْ تِلَادِي»(١).

ومراد ابن مسعود-رضي الله عنه- إنهنّ من أول ما تُعُلِّم من القرآن الكريم، وأنّ لهنّ فضلًا لما فيهنّ من القصص وأخبار الأنبياء والأمم.

وعَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ-رضي الله عنها- قَالَتْ: «كَانَ النَّبِي-ﷺ-لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ الزُّمَرَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ»(٢).

وَبِذَلِكَ تَرْجَمَ لَهَا الْبُخَارِيُّ فِي (كِتَابِ التَّفْسِيرِ)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي (أَبْوَابِ التَّفْسِيرِ).

وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّهَا ذُكِرَ فِيهَا مِنْ أَحْوَالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مَا لَمْ يُذْكَرْ فِي غَيْرِهَا.

وسماها بعضهم: بسورة سبحان (٣)، لافتتاحها بها(٤)، فافتتحت بـ "سبحان" (الذي هو عَلَمٌ للتنزيه فمن أظْهر ما يكون فيه، لأن من كان على غاية النّزاهة عن كل نقص، كان جديرًا بأن لا نعبد إلّا إياه،

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"(كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن): ج٦/ ص١٨٥ حديث رقم (٤٩٩٤)، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة - بيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، والإحالة لبعض المراجع المهمة.

(٢) صحيح، أخرجه الترمذي في جامعه (أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ-- باب منه): ج٥/ ص٤٧٥، حديث رقم (٣٤٠٥)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

(٣) ينظر: الاتقان في علوم القرآن للسيوطي: ج١/ ص١٩٣.

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ): ج١/ ص٢٨٨. المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة. عام النشر: جـ ١، ٢، ٣: ١٤١٦ هـ-١٩٩٦ م/ جـ ٤، ٥: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م/ جـ ٦: ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م.

وأن نُعرض عن كل ما سواه، لكونه متصّفًا بما ذُكر)[١].

قال السيوطي:(وَأَجَابَ ابْنُ الزَّمَلْكَانِيِّ: بِأَنَّ سُورَةَ سُبْحَانَ لَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَى الْإِسْرَاءِ الَّذِي كَذَّبَ الْمُشْرِكُونَ بِهِ النَّبِيَّ -ﷺ- وَتَكْذِيبُهُ تَكْذِيبٌ لِلَّهِ -ﷻ- أَتَى "بِسُبْحَانَ" لِتَنْزِيهِ اللهِ تَعَالَى عَمَّا نُسِبَ إِلَى نَبِيِّهِ مِنَ الْكَذِبِ). [٢]

يظهر من هذا كله؛ أن لسورة الإسراء أسماء ثلاثة، وليس ذلك بعيب، وإنما يدل على شرفها، فإنَّ كثرة الأسماء تدل علي شرف المُسمَّى، أو كمالِه في أَمر من الأمور؛ أَما ترى أَن كثرةَ أَسماء القيامة دلَّت على كمال شدته وصعوبته، وكذلك كثرة أَسماء الله -ﷻ- دلَّت على كمال جلال عظمته؛ وكثرة أَسماء النبي -ﷺ- دَلَّت على علّو رتبته، وسموِّ درجته. وكذلك كثرة أَسماء القرآن دلَّت على شرفه، وفضيلته[٣].

مكية السّورة: سورة الإسراء مكِّية بالاتفاق. فإن المشركين لما سألوه-ﷺ- عن ذي القرنين وعن أهل الكهف كان ذلك بمكة، حين أمرهم اليهود أن يسألوه عن ذلك، فأنزل الله الجواب.

والمشهور أنها نزلت بمكة حين أخبر النبي -ﷺ- كفار قريش بمعراجه وإسرائه، وارتد من ارتد [٤].

واستثنى العلماء منها آيات أوصلها السيوطي إلى خمس آيات، حيث قال: (الْإِسْرَاءُ: اسْتُثْنِيَ مِنْهَا: {وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ} الْآيَةَ لِمَا أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهَا نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ فِي جَوَابِ

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون طبعة وتاريخ.

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ج٣/ ص٣٨٧.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ): ج١/ ص٨٨.بتصرف.

(٤) الزيادة والإحسان في علوم القرآن لمحمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكيّ، شمس الدين، المعروف كوالده بعقيلة (ت ١١٥٠ هـ): ج١/ ص٢٣١، المحقق: أصل هذا الكتاب مجموعة رسائل جامعية، الناشر: مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ.

سُؤَالِ الْيَهُودِ عَنِ الرُّوحِ. وَاسْتُثْنِيَ مِنْهَا أَيْضًا: {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ} إلى قوله: {إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا} وَقَوْلُهُ: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ} الْآيَةَ وَقَوْلُهُ: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا} الآية و: {إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ})[١].

وأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ-رضي الله عنه- قَالَ: «كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ -ﷺ- فِي حَرْثٍ بِالْمَدِينَةِ، وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ، فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَسْأَلُوهُ، لَا يُسْمِعُكُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقَامُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، حَدِّثْنَا عَنِ الرُّوحِ، فَقَامَ سَاعَةً يَنْظُرُ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَتَأَخَّرْتُ عَنْهُ حَتَّى صَعِدَ الْوَحْيُ، ثُمَّ قَالَ {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي}.»[٢].

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ- وَصَحَّحَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ- - قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلْيَهُودِ: أَعْطُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ هَذَا الرَّجُلَ فَقَالُوا: اسْأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ فَسَأَلُوهُ فَأَنْزَلَ اللهُ: {وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ} الْآيَةَ[٣].

فمقتضى هذا أنها نزلت بمكة، وهذا تعارض بين الحديثين. وذكر الزركشي في البرهان أن آية الروح مما تكرّر نزوله فلا تعارض بين الحديثين، وكلّ منهما سبب النزول، والأول أرجح[٤].

قال الشيخ محمد أبو شهبه: (فالأُولى تدل على أن السائل اليهود، وأن نزولها بالمدينة، والثانية تدل على أن السائل الكفار، وأنها نزلت بمكة، والأولى أرجح لأمرين:

١ - أنها من رواية البخاري، وهي أصح من رواية الترمذي.

٢ - أن الرّاوي في الأولى، وهو ابن مسعود كان حاضر القصة، ومشاهدًا لها، أما الثّانية فليس

---

(١) الإتقان في علوم القرآن: ج١/ص١٢٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال): ج٩/ ص٩٦ حديث رقم (٧٢٩٧).

(٣) صحيح الإسناد، أخرجه الترمذي في جامعه، (أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل): ج٥/ ص٣٠٤ حديث رقم (٣١٤٠).

(٤) البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي: ج١/ ص٣٠.

فيها أن الراوي لها- وهو ابن عباس- كان مشاهدًا لها، ولا شكّ أن للمشاهدة قوّة في التحمل)[1].

فإن قيل كيف يتعدد النزول بالآية الواحدة، وهو تحصيل حاصل؟

فالجواب: أن لذلك فائدة جليلة، «والحكمة من هذا- كما قال الزركشي: - أنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة تقتضي نزول آية، وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها، فتؤدّى تلك الآية بعينها إلى النبي -ﷺ- تذكيرا لهم بها، وبأنها تتضمّن هذه»[2].

ويمكن الجمع بأنها نزلت مرتين، مرة بمكة لهذا السبب، ومرة بالمدينة لسبب آخر، وهو ما أخرجه ابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس- - أن ثقيفًا قالوا للنبي-ﷺ-: "يَا رَسُولَ اللهِ أَجِّلْنَا سَنَةً حَتَّى يُهْدَى لِآلِهَتِنَا، فَإِذَا قَبَضْنَا الَّذِي يُهْدَى لِآلِهَتِنَا أَخَذْنَاهُ، ثُمَّ أَسْلَمْنَا وَكَسَرْنَا الْآلِهَةَ، فَهَمَّ رَسُولُ اللهِ-ﷺ-أَنْ يُعْطِيَهُمْ، وَأَنْ يُؤَجِّلَهُمْ، فَقَالَ اللهُ: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾"[3].

قال السيوطي: (هَذَا يَقْتَضِي نُزُولَهَا بِالْمَدِينَةِ وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ وَالْأَوَّلُ يَقْتَضِي نُزُولَهَا بِمَكَّةَ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ وَلَهُ شَاهِدٌ عِنْدَ أَبِي الشَّيْخِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ يَرْتَقِي إِلَى دَرَجَةِ الصَّحِيحِ فَهُوَ الْمُعْتَمَدُ)[4].

وهذا ما يؤكده ابن عاشور موضّحًا زمن نزولها أكثر فيقول: "ويظهر أنها نزلت في زمن كثرت فيه جماعة المسلمين بمكة، وأخذ التشريع المتعلق بمعاملات جماعتهم يتطرق إلى نفوسهم، فقد

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم، للأستاذ الدكتور محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت ١٤٠٣هـ): ص١٤٧، الناشر: مكتبه السنة – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ج١/ ص٣١.

(٣) أخرجه ابن جرير في جامع البيان: ج١٥/ ص١٤-١٥. تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م. وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن مردوية: ج٥/ ص٣١٩، الناشر: دار الفكر – بيروت، بدون طبعة وتاريخ.

(٤) الإتقان في علوم القرآن: ج١/ ص١٢٠.

ذكرت فيها أحكام متتالية لم تذكر أمثال عددها في سورة مكية غيرها عدا سورة الأنعام، وذلك من قوله: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ ، إلى قوله: ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴾.

وقد اختلف في وقت الإسراء. والأصح أنه كان قبل الهجرة بنحو سنة وخمسة أشهر، فإذا كانت قد نزلت عقب وقوع الإسراء بالنبي -ﷺ- تكون قد نزلت في حدود سنة اثنتي عشرة بعد البعثة، وهي سنة اثنتين قبل الهجرة في منتصف السنة. وليس افتتاحها بذكر الإسراء مقتضيا أنها نزلت عقب وقوع الإسراء. بل يجوز أنها نزلت بعد الإسراء بمدة"[١].

وممّا ورد في فضلها: ما أخرجه البخاري بسنده عن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه- أَنَّهُ قَالَ: فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْكَهْفِ وَمَرْيَمَ: «إِنَّهُنَّ مِنَ الْعِتَاقِ الْأُوَلِ وَهُنَّ مِنْ تِلَادِي»[٢].

قوله "العِتاق الأول": والْعِتَاقِ بِكَسْرِ الْمُهْمَلَةِ وَتَخْفِيفِ الْمُثَنَّاةِ جَمْعُ عَتِيقٍ وَهُوَ الْقَدِيمُ أَوْ هُوَ كُلُّ مَا بَلَغَ الْغَايَةَ فِي الْجَوْدَةِ، والأولية باعتبار حفظها أو باعتبار نزولها؛ لأنها مكّيات ومراده تفضيل هذه السور؛ لما يتضمن مُفتتح كل منها بأمر غريب وقع في العالم خارق للعادة وهو الإسراء وقصة أصحاب الكهف وقصة مريم-عليها السلام-[٣].

وقوله: (وَهُنّ مِنْ تَلَادِي): بكسر المثنّاة وتخفيف اللّام: أي ممّا حُفظ قديمًا، والتَّلادُ: قَديم المُلك وهو بخلاف الطّريق. ومراد ابن مسعود-رضي الله عنه- إنهنّ من أول ما تُعُلِّم من القرآن الكريم، وأنّ لهنّ فضلًا لما فيهنّ من القصص وأخبار الأنبياء والأمم [٤].

عدد آياتها: مِائَةٌ وَعَشْرٌ فِي عد أهل الْعدَد بِالْمَدِينَةِ، وَمَكَّةَ، وَالشَّامِ، وَالْبَصْرَةِ، وعطاء. وَمِائَةٍ وَإِحْدَى عَشْرَةَ فِي عَدِّ أَهْلِ الْكُوفَةِ، واختلافها آيَة ﴿ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾؛ عدهَا الْكُوفِي وحده آية، وَلم يعدها

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ج١٥/ ص٦.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"(كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن): ج٦/ ص١٨٥ حديث رقم (٤٩٩٤).

(٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني: ج٧/ ص١٩٨، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: ج٨/ ص٣٨٨، الناشر دار المعرفة-بيروت ١٣٧٩هـ.

الْبَاقُونَ [١].

عدد كلماتها: ألف وَخمْس مئة وَثَلَاث وَثَلَاثُونَ كلمة.

وحروفها: سِتَّة آلاف وَأَرْبع مئة وَسِتُّونَ حرفا.

ترتيبها في النزول: هي السورة الخمسون في ترتيب نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة القصص وقبل سورة يونس[٢]، وفي ترتيب مصحفي أُبي وابن مسعود بعد الأحزاب وقبل الزُّمر[٣]، فعلم من ذلك أنها من أوائل السور نزولًا، قال السيوطي: " اعلم أن هذه السورة والأربع بعدها من قديم ما أنزل. أخرج البخاري عن ابن مسعود-رضي الله عنه- أنه قال في بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: " هن من العتاق الأول، وهن من تلادي"، وهذا وجه في ترتيبها، وهو اشتراكها في قدم النزول، وكونها مكّيات، وكلّها مشتملة على القصص[٤].

وترتيبها في المصحف العثماني: السورة السابعة عشرة.

أهم المقاصد التي اشتملت عليها سورة الإسراء:

السّورة كما ذكرت مكّيّة بالاتّفاق، حيث نزلت بمكة المكرمة. وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي وَقْتِ الْإِسْرَاءِ. وَالْأَصَحُّ أَنَّهُ كَانَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِنَحْوِ سَنَةٍ وَخَمْسَةِ أَشْهُرٍ، فَإِذَا كَانَتْ قَدْ نَزَلَتْ عَقِبَ وُقُوعِ الْإِسْرَاء بالنبي -ﷺ- تَكُونُ قَدْ نَزَلَتْ فِي حُدُودِ سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ بَعْدَ الْبَعْثَةِ، وَهِيَ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ قَبْلَ الْهِجْرَةِ فِي مُنْتَصَفِ السَّنَةِ.

(١) فنون الأفنان في عيون علوم القرآن لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي: ص٢٨٩، دار النشر: دار البشائر - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م. والبيان في عد آي القرآن عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني: ص١٧٧، المحقق: غانم قدوري الحمد، الناشر: مركز المخطوطات والتراث - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

(٢) التحرير والتنوير المسمى «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، للطاهر بن عاشور التونسي: ج١٥/ ص٧، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ. والتفسير الحديث

(٣) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ج١/ ص٢٢٢.

(٤) أسرار ترتيب القرآن للسيوطي: ص١٠٣، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

وَلَيْسَ افْتِتَاحُهَا بِذِكْرِ الْإِسْرَاءِ مُقْتَضِيًا أَنَّهَا نَزَلَتْ عَقِبَ وُقُوعِ الْإِسْرَاءِ. بَلْ يَجُوزُ أَنَّهَا نَزَلَتْ بَعْدَ الْإِسْرَاءِ بِمُدَّةٍ[1].

فالْعِمَادُ الَّذِي أُقِيمَتْ عَلَيْهِ أَغْرَاضُ هَذِهِ السُّورَةِ:

١- تَرسيخُ أصولِ العَقيدةِ الإسلاميَّةِ، وتَنقيتُها مِن كُلِّ ما يَشوبُها.

٢- الحديثُ عن الرَّسولِ -ﷺ-، وبيانُ مَوقِف المُشرِكينَ منه.

٣- بيانُ بعضِ التَّكاليفِ الشَّرعيَّةِ المتضَمِّنةِ لقواعِدِ السُّلوكِ الفَرديِّ والجَماعيِّ.

٤- إِثْبَاتُ نبوة مُحَمَّد -ﷺ-.

٥- إِثْبَاتُ أَنَّ الْقُرْآنَ وَحْيٌ مِنَ اللهِ. وإِثْبَاتُ فَضْلِهِ وَفضل من أنزل عَلَيْهِ. وَذِكْرُ أَنَّهُ مُعْجِزٌ.

٦- رَدُّ مَطَاعِنِ الْمُشْرِكِينَ فِيهِ وَفِيمَنْ جَاءَ بِهِ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْقَهُوهُ فَلِذَلِكَ أَعْرَضُوا عَنْهُ.

٧- إِبْطَالُ إِحَالَتِهِمْ أَن يكون النبي -ﷺ- أُسَرِيَ بِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى.

أما أهمّ مقاصدها: «فالإقبال على الله وحده، وخلع كلّ ما سواه، لأنّه وحدهُ المالك لتفاصيل الأمور، وتفضيل بعض الخلق على بعض. وذلك هو العمل بالتقوى، التي أدناها خلعُ الأنداد، واعتقاد التوحيد. على ما دعا إليه افتتاح النّحل. وأعلاها: الإحسان، الذي اختُتمت به، وهو الفَنَاءُ عمّا سوى الله. وذلك شرح ما أشار إليه آخر التي قبلها، من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ ﴾[2].

وكل من أسمائها واضح الدلالة على هذا:

أما سبحان -الذي هو علم للتنزيه-: فمن أظهر ما يكون فيه، لأنّ من كان على غاية النّزاهة عن كلّ نقص، كان جديراً بأن: ﴿ لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ﴾ ، وأن يُعرِض كلّ مخلوق عن كلّ ما سواه، لكونه متصّفًا بما ذُكر.

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ج١٥/ ص٦.

(٢) سورة النحل: من الآية ١٢٨.

وأما الإســـراء: فمن عرف أموره كلها في السّـــرى بالنبي -ﷺ- من المســـجد الحرام، إلى المســـجد الأقصى، ثم العروج من المسجد الأقصى، إلى السماوات العُلي، إلى سدرة المنتهى، ثم إلى ما شاء العليُّ الأعلى، ثم التردد بين موسى-عليه السلام-، وبين من أُسرى به من السّماء السادسة إلى ما وصل إليه في المرّة الأولى من الحدّ الأسمى، والحضرة الشَّمَّاء، والمحل الأقدس الأَنْهَى، الذي وصل إليه دون غيره من الخلائق وهو فوق الســماء الســابعة، بما لا يعلمه إلا الله تعالى، مرةً بعد أخرى ثمّ الرجوع إلى المسجد الأقصى، ثم إلى الكعبة العُظمى، قبل فجر تلك الليلة، علم أن الفاعل لذلك متَّصِف بكلِّ ما ذُكر، فأقبل بكلِّيته، وانقطع دائمًا إليه.

وكذا تسميتها بالأقصى، فإنه مشير إلى قصة الإسراء. وأما بنو إسرائيل، فمن أحاط-أيضًا- بتفاصيل أمرهم في مسيرهم إلى الأرض المقدسة، الذي هو كالإسراء، وإيتائهم الكتاب، وما ذكر مع ذلك من شأنهم في هذه السورة، الذي هو معروف بالفرق بين الإسراءين والفرق بين الإيتاءين، عرف ذلك»[1].

وهذا عرض موجز لأهم موضوعات السورة:

١- ذِكرُ الإسراءِ، وبَيانُ حِكمَتِه، والإشارةُ إلى المِعراجِ.

٢- ذكرُ الكتابِ الذي آتاه الله تعالى لموسَـى-عليه السلام-؛ ليكونَ هدايةً لقومِه، وإخبارُ بني إسـرائيلَ أنَّهم سيُفسدونَ في الأرضِ مَرَّتَينِ.

٣- بيانُ فضلِ القُرآن، وأنه يهدي لِلَّتي هي أقومُ، ويبشِّرُ المؤمنينَ بالأجرِ الكبيرِ.

٤- إثباتُ دلائِلِ تفَرُّدِ اللهِ بالإلهيَّةِ، والاسـتِدلالُ بآيةِ اللَّيلِ والنَّهارِ وما فيهما مِنَ المِنَن على إثباتِ الوَحدانيَّةِ، وأنَّ كُلَّ إنسانٍ يكونُ معه كِتابُه قد سُجِّلَت فيه حَسَناتُه وسَيِّئاتُه.

٥- تقرير قاعِدة التَّبعةِ الفَرديَّةِ في الهُدى والضَّلالِ، وقاعِدةِ التَّبعةِ الجماعيَّةِ في التصَرُّفاتِ والسُّلوكِ.

٦- بيانُ سُنَّةِ الله سبحانَه في القُرونِ الماضيةِ الذين أهلَكَهم، وأنَّ عاقبةَ الترفِ والفسقِ الدمارُ والهلاكُ.

---

(١) مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي: ج٢/ ص٢٣١-٢٣٢. دار النشر: مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٧- بيانُ أنَّ سعادةَ الآخرةِ منوطةٌ بإرادتِها، وبأنْ يسعَى الإنسانُ لها وهو مؤمنٌ.

٨- الأمرُ بعِبادةِ الله سُبحانَه، وذِكرُ مُقَوِّماتِ الحَياةِ الاجتِماعيَّةِ مِن الإحسانِ للوالِدَينِ، وذَوي القُربى، والتوسُّطِ في إنفاقِ المالِ، والنَّهيُ عن قَتلِ الأولادِ، والنَّهيُ عن قَتلِ النَّفسِ وعن الزِّنا، والنَّهيُ عن التصَرُّفِ في مالِ اليَتيمِ إلَّا بالتي هي أحسَنُ حتى يَبلُغَ أشُدَّه، والأمرُ بالوَفاءِ بالعَهدِ، والوَفاءِ بالكَيلِ والميزانِ، والنهيُ عن أن يَقفُوَ الإنسانُ ما لا عِلْمَ له به.

٩- النهيُ عن اتخاذِ آلهةٍ معَ الله، وبيانُ الدليلِ على بطلانِ ادعائِهم أنَّ مع الله آلِهةً أخرى، والتنديدُ بعاداتِ أهلِ الجاهليَّةِ في كراهِيَتِهم للبَناتِ.

١٠- بيانُ تَصريفِ الله سُبحانَه في القُرآنِ؛ ليتَذَكَّرَ النَّاسُ، إلَّا أنَّه لم يزِدْهم إلَّا نفورًا.

١١- ذِكرُ تَسبيحِ كُلِّ ما في الوجودِ لله سبحانَه.

١٢- ذكرُ جانبٍ مِن أقوالِ المشركينَ فيما يتعلَّق بالبعثِ، ودحضُها، وأمرُ المؤمنينَ بقولِ الكلمةِ التي هي أحسنُ.

١٣- ذكرُ قِصَّةِ الخَلقِ والتَّكوينِ، وتكريمِ آدَمَ بالأمرِ بالسُّجودِ له، ومَوقِفِ إبليسَ مِن ذلك، وإعلانِه مَوقِفَه مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ، وبيانُ أنَّ الشَّيطانَ ليس له سُلطانٌ على عِبادِ اللهِ المُؤمِنينَ.

١٤- بَيانُ أنواعٍ مِن نِعَمِ اللهِ في البَرِّ والبَحرِ، وأنه يَكشفُ الضُّر عَمَّن يَستَغيثونَ به، فإذا كشَفَ الضُّرَّ عنهم أعرَضوا.

١٥- ذكرُ تكريمِ الله لبني آدَمَ، وبعضِ مَشاهِدِ يَومِ القيامةِ.

١٦- بيانُ تثبيتِ الله لنبيِّه -ﷺ-، وأمرُه بالمداومةِ على الصلاةِ، وعلى قراءةِ القرآنِ، وأن يَدعو اللهَ أن يُحسِنَ مُدْخَلَه ومُخْرَجَه، ويُعلِنَ مَجيءَ الحَقِّ وزُهوقَ الباطِلِ.

١٧- الثناءُ على القرآنِ وبيانُ إعجازِه، وذكرُ المطالبِ المتعنتةِ التي طالب بها المشركونَ النبيَّ -ﷺ-، ورَدُّ النَّبيِّ -ﷺ- على هذا بأنَّه خارجٌ عن وظيفةِ الرَّسولِ وطَبيعةِ الرِّسالةِ.

١٨- حكايةُ جانبٍ مِن قصةِ موسَى -عليه السلام- معَ فرعونَ.

١٩- بيانُ أنَّ هذا القرآنَ أنزَله الله تعالى بالحقِّ، وبالحقِّ نزَل، وأنَّه فصَّــله وبيَّنه وأحكَمه ليقرأَه النبيُّ -ﷺ- على الناسِ على تؤدةٍ وترتيلٍ، وأنَّه نزَّله مفرقًا، وأنَّ أهلَ الكِتابِ والعُلَماءَ الذين عَرَفوا الوَحيَ والنبُوَّةَ إذا يُتلَى القُرآنُ عليهم يَخِرُّونَ للأذقانِ سُجَّدًا خاشِعينَ لله.

٢٠- خَتمُ السُّورةِ بالأمرِ بحمدِ الله الذي لم يتَّخذْ ولدًا، ولم يكنْ له شريكٌ في الملكِ، ولم يكنْ له وليٌّ مِن الذلِّ، والأمرِ بتكبيرِه.

المبحث الثاني: بين يدي الفرائد

المطلب الأول: تعريف الفرائد لغةً واصطلاحًا.

الفرائد في اللغة: جمع فريد وفريدة، والفريد هو: الفرد الذي لا نظير له، و(الْفَرِيدُ) الدُّرُّ إِذَا نُظِمَ وَفُصِّلَ بِغَيْرِهِ. وَقِيلَ: (فَرَائِدُ) الدُّرِّ كِبَارُهَا، والفَريدة: الشَّذر الذي يفصل بين اللؤلؤ والذهب في العقد، وهي أيضا: الجوهرة النفيسة، ويقال: استفرد الغواصّ هذه الدرة: أي لم يجد معها أخرى، وتقول: فلان يُفصِّل كلامه تفصيل الفريد وهو الدرّ الذي يفصل بين الذّهب في القِلادة المفصّل، فالدرّ فيها فريد والذهب مفرد [١].

ومن المعنى اللغوي للفرائد نستخلص أنها: الشيء النّفيس الذي لا نظير له سواء أكان ماديًّا كالذهب والدرّ، أو معنويًا كالكلام الفريد المفصّل.

الفرائد في الاصطلاح: عرفّها ابن فارس بأنها: الألفاظ التي لا نظير لها، فهي متوحّدة فيما تدل عليه من معنى بعكس الألفاظ ذات المعاني المتعددة الوجوه[٢].

ونلحظ تعريفها الاصطلاحي أيضا عند أول من أورد مصطلح الفرائد؛ ابن أبي الإصبع المصري في كتابه (تحرير التحبير) معنونًا لها بعنوان: (باب الفرائد)، وذكر أن هذا الباب مختص بالفصاحة وحددّ مصطلح الفرائد بأنه: إتيان المتكلم بلفظة تتنزل من كلامه منزلة الفريدة من حَبّ العقد تدلّ على

---

(١) مختار الصحاح: لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي: ص٢٣٦، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م. كتاب العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري: ج٦/ ص٢٤٩، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال. القاموس المحيط: لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى: ج١/ ٣٠٥، تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي -الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان-ط: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

(٢) أفراد كلمات القرآن العزيز لأحمد بن فارس اللغوي: ص٥، تحقيق: أد/ حاتم صالح الضامن- دار البشائر- ط الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

عِظم فصاحته وقوّة عارضته وشدة عربيته، حتى إنّ هذه اللفظة لو سقطت من الكلام لعزّ على الفصحاء غرامتها) أي خسرانها وفقدانها).

ثم استشهد على ذلك بفرائد من شعر أبى نواس وأبى تمام والبحتري فمن ذلك قول أبى نواس:

وكـأن سُـعْـدى إذ تُـوَدِّعُـنَـا وقـد اشْـرَأَبَّ الـدمـعُ أَنْ يِـكـفَـا[1]

ثم استشهد من القرآن بآيات كثيرة مصدرًا ذلك بقوله "قد جاء في الكتاب العزيز من ذلك غرائب يعزّ حصرها". ومما استشهد به لفظ خائنة من قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [2]، ثم علّق عليها بقوله: وهذه الفريدة في هذه الآية أعجب من كل ما تقدم؛ فإن لفظة (خائنة)سهلةٌ مستعملة كثيرة الجريان على أَلْسُنِ الناس لكن على انفرادها؛ فلما أضيفت إلى الأعين حصل لها من غرابة التركيب ما جعل لها في النفوس هذا الموقع العظيم بحيث لا يستطاع الإتيان بمثلها ولا يكاد يقع في شيء من فصيح الكلام شبهها، وقد استمر ابن أبى الإصبع على هذا النهج وهو يستشهد بقول الرسول -ﷺ-:(إِذَا ذُكِرَ الصَّالِحُونَ فَحَيَّ هَلَا بِعُمَرَ)[3]، فقد أشار إلى أن لفظة حيّ هلا

(١) ديوان أبى نواس (الحسن بن هانئ): ص٤٣٢، تحقيق وشرح: أحمد عبد المجيد الغزالي ط. دار الكتاب العربي. بيروت .١٩٨٤م. واشرأب الدمع: ارتفع من شؤنه ليسيل وينحدر على الخد، يَكفَ: مضارع وَكفَ بمعني سال ـ وأصل اشرأب: مَّد عُنُقَه وارتفع كي ينظر. والمعنى أنه في لحظة الوداع ارتفع الدمع وسال على الخد.. ولعل السر في تفرد الفعل (اشرأب) هنا يرجع إلى تشخيصه وبعث الحياة والحركة فيه وجعله يحس ويتمني ـوالمشبه به ورد في البيت الثاني هو:

رَشـأٌ تَـواَ صْـيَـن اِلـقَـيـاُن بـه حـتـى عَـقَـدْنَ بـأُذُنِـه شَـنْـفًـا.

(٢) سورة غافر: الآية (١٩).

(٣) إسناده صحيح: أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في كتاب فضائل الصحابة- فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، عن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-: ج١/ ص٢٧٠ برقم (٣٥٦)، المحقق: د. وصي الله محمد عباس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م. والطبراني في المعجم الكبير، (باب خطبة ابن مسعود ومن كلامه): ج٩/ ص١٦٤ برقم (٨٨١٢)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة،

من الفرائد العجيبة وفيها من الفصاحة ما يعجز عن مثله كل فصيح [١].

إذن الفرائد في القرآن تُعني تلك الكلمات التي اكتسبت صفة الفردية بداية لكونها كلمات قرآنية انتظمت في سلك النظم القرآني البديع وتعلقت بما قبلها وما بعدها تعلُّقًا قويًّا؛ بحيث لا يُغني غيرها غناءها في موضعها وبحيث لو سقطت لعزّ على الفصحاء غرامتها كما يقول ابن أبي الأصبع، ثم هي اكتسبت ثانيًا صفة أخرى أكثر تخصيصًا وتقييدًا وهي كونها فذّة أي متفردة لم ترد في القرآن إلا مرةً واحدة ولم تتكرر في أي سياق آخر رغم تشابه السياقات أحيانا [٢].

المطلب الثاني: الفرائد في الدراسات السّابقة:

بالنظر في كتب السابقين يتبين لي أن بعض العلماء تعرّض في حديثه للفرائد كمصطلح معجمي، فعرّف بها وذكر لها بعض النماذج من آيات الذكر الحكيم، واستشهد ببعض الأمثلة من أشعار العربية.

ومن هؤلاء العلماء الأفذاذ: ابن أبي الأصبع (المتوفى٦٥٤هـ) في كتابه (تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن)، وابن حجة الحموي (المتوفى ٨٣٧هـ) في كتابه (خزانة الأدب وغاية الأرب)، والإمام السيوطي (المتوفى٩١١هـ) في كتابه(الإتقان في علوم القرآن) وتحدّث عن الفرائد في

الطبعة: الثانية. ويشمل القطعة التي نشرها لاحقا المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد ١٣ (دار الصميعي- الرياض/ الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م).

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لعبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع البغدادي ثم المصري (ت: ٦٥٤هـ): ص٥٧٨،٥٧٧، تحقيق: الدكتور حفني محمد شرف الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، والإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي: ج٢/ ص ٣١٩.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الملقب بمرتضى الزَّبيدي: ج٨/ ص٤٨٦، المحقق: مجموعة من المحققين -الناشر: دار الهداية. بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم المضارع نموذجا-د/ كمال عبد العزيز إبراهيم: ص ٤،٥، الناشر: الدار الثقافية للنشر- القاهرة-٢٠١٠م. من بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم د/ محمد السيد سالم: ص ٥٦٦،٥٦٧، مجلة جامعة المدينة العالمية- العدد العاشر.

بضـعة أسـطر، مع ذكر بعض الآيات من القرآن الكريم فقال: (الفرائد: هو مُخْتَصٌّ بِالْفَصَـاحَةِ دُونَ الْبَلَاغَةِ لِأَنَّهُ الْإِتْيَانُ بِلَفْظَةٍ تَتَنَزَّلُ مَنْزِلَةَ الْفَرِيدَةِ مِنَ الْعِقْدِ- وَهِيَ الْجَوْهَرَةُ الَّتِي لَا نَظِيرَ لَهَا- تَدُلُّ عَلَى عِظَمِ فَصَـاحَةِ هَذَا الْكَلَامِ وَقُوَّةِ عَارِضَـتِهِ وَجَزَالَةِ مَنْطِقِهِ وَأَصَـالَةِ عَرَبِيَّتِهِ بِحَيْثُ لَوْ أُسْـقِطَتْ مِنَ الكلام عزّت على الفصـحاء غرابتها وَمِنْهُ لَفْظُ: ﴿حَصْحَصَ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ [١]، و﴿ٱلرَّفَثُ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [٢]، ووقفت الدكتورة/ عائشـة بنت الشـاطئ أمام عدد قليل من الفرائد الواردة في قصـار السـور في كتابها (التفسـير البياني للقرآن الكريم) حيث ذكرت أنها من الصـيغ الوحيدة مادّة وصـيغة ومسّـتْهَا مسًّـا لُغَويًا خفيفًا ، ودكتور/ أحمد مطلوب في كتابه (معجم المصـطلحات البلاغية وتطورها) وقد ذكر في كتابه الأمثلة التي استشهد بها الأقدمون[٣].

وتعرض لها بعض المؤلفين في دراسـة مسـتقلة تحت هذا المسـمّى الذي خصـها به البلاغيون وأهل هذا الفن، إلا أن منهم من قام بدراستها دراسة لغوية بحته، ومنهم من قام بدراسة بعضها دراسة بلاغية، ومن أهم هذه الدراسات:

- مفاريد الألفاظ في القرآن دراسة لغوية للباحث: محمود عبد الله يونس، رسالة ماجستير سلط الباحث فيها الضـوء على بعض القضـايا والمسـائل اللغوية من صـوتية وصـرفية ودلالية وحدّد لنفسـه المنهج الوصفي لتتبع هذه المسائل، وهي دراسة تناول فيها الباحث الفرائد دراسة صوتية وصرفية ومعجمية

(١) سورة يوسف: الآية (٥١).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٨٧).

(٣) تحرير التحبير: ص٥٧٧،٥٧٨، الإتقان في علوم القرآن: ج٢/ ص٣١٩، والكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأيوب بن موسى الحسيني الكفوي: ج١/ ص٦٩٧، المحقق: عدنان درويش - مؤسسة الرسالة – بيروت. ومعترك الأقران في إعجاز القرآن، لجلال الدين السيوطي: ج١/ ص٣٠٩، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م. ومن بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم د/ محمد السيد سالم: ص ٥٦٦،٥٦٧.

بحتة بعيدة كل البعد عن الدراسة الفنّية الجمالية في إطار سياقها، وقد أوصى الباحث في خاتمتها بدراسة الفرائد من الناحية البلاغية [١].

- ومن الباحثين الجادّين الذين اهتموا بالفرائد: الأستاذ باسم سَعيد البَسوميّ فقد خصص لها معجمًا سماه بـ (معجم الفرائد القرآنية) كان عمله فيه هو رصد المفردات القرآنية والعمل على استخراج معانيها من المعاجم اللغوية وكتب التفسير التي تتميز بالتركيز على الجانب اللغوي، وركّز الباحث دراسته على أمرين هما:

الأول: إحياء الألفاظ القرآنية التي لم تتكرر إلا مرة واحدة فقط ولم يشتق من جذرها اللغوي سواها.

الثاني: مدارسة كل لفظة من هذه الألفاظ وإعطاء المعنى اللغوي للكلمة بإيجاز.

وتعدّ هذه الدراسة أيضًا دراسة معجمية بحتة، غير أنها امتازت برصد الفرائد القرآنية وجمعها في كتاب واحد ساعد الباحثين كثيرًا؛ حيث جمع فيها فرائد كل سورة من سور القرآن الكريم على حدة[٢].

- ويعد كتاب الأستاذ الدكتور عبد الله سرحان (الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية) من أهم الدراسات في العصر الحديث، والتي تناولت الفرائد بشكل مباشر، إلا أنه اقتصر فيه على ذكر الفرائد التي وردت في القصص القرآني وقد أشار إلى ذلك في منهجه، معلِّلًا اقتصاره على ذلك حتى لا يطول البحث. ويتضح من عنوان الكتاب؛ أنه أبان فيه عن الأسرار البلاغية التي تنطوي عليها الفرائد، وهو بحق من أفضل ما أُلف في بابه [٣].

وبعد هذا العرض الموجز عن الفرائد في الدراسات السابقة يمكن القول بما يلي:

---

(١) مفاريد الألفاظ في القرآن الكريم-رسالة ماجستير-للباحث/ محمود عبد الله يونس-كلية اللغة العربية بالقاهرة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٢) معجم الفرائد القرآنية-باسم سعيد البسومي-مركز نون للدراسات والأبحاث القرآنية ١٤١٢هـ/ ٢٠٠١م.

(٣) الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية-أد/ عبد الله عبد الغنى سرحان-الأستاذ بجامعة الأزهر-مركز التدبر، الطبعة الأولى عام ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م-الرياض-السعودية.

١- إن ما ألف في باب الفرائد قليل بالنسبة للدراسات القرآنية من الناحية التفسيرية.

٢- معظم الدراســات حول الفرائد لم تتناولها من الناحية التفســيرية بحيث يتجلّى للقارئ من خلالها بلاغة وإعجاز القرآن الكريم، والســر في التعبير بهذه الفرائد ومجيئها على هذا النســق العجيب من الفصاحة والبلاغة.

٣- لا يوجد بحث مستقل -على حد علمي- تعرض لدراسة الفرائد القرآنية في سورة (الإسراء)، لذا قمت بجمع الفرائد فيها ودراستها دراسة تفسيرية، مبيِّنًا السرّ في تفرد هذه الفرائد في موضعها دون غيرها من الألفاظ.

المبحث الثالث: فرائد سورة الإسراء

المطلب الأول: الفريدة الأولى: ﴿ فَجَاسُواْ ﴾.

وردت هذه الفريدة في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ۝٥ ﴾[١].

ذكر اللغويون في معنى قوله تعالى(فجاسوا) أن الجَوْس أو الجَوَسانُ: التردَّد خِلال الدُّؤورِ والبيوتِ في الغارةِ ونحوها[٢]. قال ابن سيدة: "جاس جَوْسا، وجَوَسانا: تردد، وَفِي التَّنْزِيل: (فجاسوا خلال الديار) أَي ترددوا بَينهَا للغارة، وكل مَا وطئ: فقد جِيس"[٣]. وقيل معنى جاسوا: قتلوا، ويستشهد لذلك ببيت حسان:

وَمِنَّا الَّذِي لاقى بسَيْفِ مُحَمَّدٍ فَجاسَ بِهِ الأعْدَاءَ عُرْضَ العَساكِرِ[٤].

قال الفرّاء: "قتلوكم بين بيوتكم، قال:(فَجاسُوا) فِي معنى أخذوا وحاسوا أيضًا بالحاء فِي ذَلِكَ المعنى"[٥]. فَجَاءَتِ الْجِيمُ مَقَامَ الْحَاءِ وَقَدْ قُرِئَ بِالْحَاءِ أَيْضًا وَجَعَلَ مِنْهُ الْفَارِسِيُّ: ﴿ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ ﴾[٦]، أَي الْخَيْلَ[٧].

وقَالَ الزّجاج: "{فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ}، أَي فَطافُوا فِي خِلال الدِّيار ينظرُونَ هَل بَقِيَ أَحَدٌ لم

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٥).

(٢) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي: ج٦/ ص١٦٠، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بدون طبعة وتاريخ.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي: ج٧/ ص٥١٧، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٤) جامع البيان للطبري: ج١٧/ ص٣٦٦.

(٥) معاني القرآن للفراء: ج٢/ ص١١٦، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى بدون تاريخ.

(٦) سورة ص: من الآية (٣٢).

(٧) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ج٣/ ص٣٠٣.

يَقتلوه؟ قَالَ: والجَوْسُ طلَبُ الشَّيء باستِقْصاء"[١].

وجُوس بفتح الجيم وضمها مصدر جاسَ يَجُوسُ، أي: فتَّش ونقَّب، قاله أبو عبيدٍ[٢].

وقرئ أيضًا: وحاسوا وداسوا، وهما بمعنى، قَالَ أَبُو عبيد: الحوس والجوس بِمَعْنى وَاحِد وَهُوَ كل مَوضِع خالطته ووطئته فقد حُسته وجُسته سَوَاء، قَالَ الله -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ﴾[٣].

ومِنْهُ قَول الشَّاعِر:

نَجُوس عَمارةً ونكُفّ أُخْرَى لنا حتّى يجاوزها دَلِيل

فقَوْله: نجوس عمَارَة أَي نخالطها ونطأها حَتَّى تبلغ مَا نُرِيد مِنْهَا ونكفّ أُخْرَى يَقُول: نَأْخُذ فِي كفتها وَهِي ناحيتها ثمَّ ندعها وَنحن نقدر عَلَيْهَا. قَالَ ابْن الْكَلْبِيّ: العَمارة هِيَ أكبر من الْقَبِيلَة[٤].

وقَالَ أَبُو عبيد فَهَذَا الجوس[٥]. وقَالَ اللَّيْث: الجوسانُ التَّرَدُّدُ خلال الْبيُوت فِي الْغَارة[٦].

قَالَ الحطيئة فِي الحَوس يذّم رجلًا:

رَهْط ابْن أفعل فِي الخطوب أذِلَّة دُنُس الثِّيَاب قناتهم لم تُضرسِ

بِالْهَمْز من طول الثِقاف وجارهم يعْطى الظَلامة فِي الخُطُوبِ الحُوّسِ

يَعْنِي الْأُمُور الَّتِي تنزل بهم فتغشاهم وتخلل دِيَارهمْ[٧]. والجَوْس: كالدوس أيضًا، وَرجل جَوّاس:

---

(١) تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور: ج١١/ ص٩٦، المحقق: محمد عوض مرعب الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

(٢) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني: ج١٢/ ص٢١٠، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م.

(٣) سورة الإسراء: من الآية (٥).

(٤) غريب الحديث لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي: ج٣/ ص٤٠٤، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

(٥) غريب الحديث لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي: ج٣/ ص٤٠٤.

(٦) تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور: ج١١/ ص٩٦.

(٧) غريب الحديث لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي: ج٣/ ص٤٠٤.

يَجُوس كل شَيْء يدوسه[١].

ويظهر من المعنى اللغوي للكلمة أن الفريدة توحي بالحركة الكثيرة، فالمعنى المحوري للكلمة تخلل واختراق بحدة لشيء[٢]، وكما قيل بأن الجوسانُ التَّرَدُّدُ، والقتل، والتجسس والتنقيب، وطلَبُ الشَّيء باستِقْصاء.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عناه الله -ﷻ- في الإخبار عن بني إسرائيل بهذا المعنى، فقال بعضهم: عني بذلك: أنهم عاثوا بين الديار وأفسدوا؛ يقال: جَاسوا وحَاسوا. فهم يَجُوسون وَيَحُوسُون[٣]. وقيل بمعنى: فتخلّلوا الأزقّة بلغة هذيل وجذام[٤].

وقال آخرون: بل عنى الله بذلك: أنهم تردّدوا بين الدُّور والمساكن، وذهبوا وجاءوا، يقال فيه: جاس القوم بين الديار وحاسوا بمعنى واحد[٥].

ولا منافاة بين الأقوال السابقة، فالجوس أعم وأشمل لذلك كله، فيأتي بمعنى التردد، والتجسس، والتنقيب والتفتيش، والقتل، كما تقدم من كلام أهل اللغة.

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي: ج٧/ ص٥١٨. ولسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي: ج٦/ ص٤٣، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها) المؤلف: د. محمد حسن حسن جبل: ج١/ ص٣١٢، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠م.

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة: ص٢٥١، المحقق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية)، السنة: ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م.

(٤) لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم لأبي عبيد القاسم بن سلام: ص٧، [ونسبتُه إلى أبي عُبيد خطأ]، نقله من المخطوط: خالد حسن أبو الجود. اللغات في القرآن لعبد الله بن الحسين بن حسنون، أبو أحمد السامري، بإسناده: إلى ابن عباس: ص٣٤، حققه ونشره: صلاح الدين المنجد، الناشر: مطبعة الرسالة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦م.

(٥) جامع البيان للطبري: ج١٧/ ص٣٦٥.

فهي أقوال متقاربة في المعنى، ولا تعارض بينها، وهي من قبيل اختلاف التنوّع لا التضـادّ، أو ما يشبه التفسير بالمثال، فالأقوال وإن اختلفت ألفاظها، وتعدّدت تعبيراتها، لكنّها متفقة في أداء المُراد؛ إذ الجوس يستلزم التردّد والذهاب والتنقيب والتفتيش والقتل، فهو جامع لكل ذلك.

ومعنى الآية كما ذكر المفسرون: {فإذا جاء وعد أولاهما} أي وعد عقاب أولاهما {بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ} سـلّطنا عليكم {عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَـدِيدٍ} أشـدّاء في القتال يعني سـنجاريب وجنوده أو بختنصّـر أو جالوت قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخرّبوا المسـجد وسـبوا منهم سـبعين ألفـًا {فَجَاسُـوا خِلاَلَ الدِّيَارِ} ترددوا للغارة فيها قال الزجاج الجوس طلب الشيء بالاستقصاء {وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً} وكان وعد العقاب وعد الابدان يفعل(١).

وقال الزجاج: طافوا خلال الديار هل بقي أحد لم يقتلوه. قال الواحدي: الجوس هو التردد والطلب وذلك محتمل لكل ما قالوه(٢).

أما عن السياق الذي ذكرت فيه هذه الفريدة:

فهو يحكي موقف تبكيت الله -عَجَّلَ- لبني إسرائيل بعد أن ذكر -سُبْحَانَهُ- إنعامه عليهم، بإنزال التوراة لتكون لهم هدى يهتدون بها، ثم ذكر سبحانه بأنهم ما اتّبعوا هُداها، بل أفسدوا في الأرض بقتل الأنبياء وسـفك الدماء، فسـلّط الله عليهم من يسـومهم سـوء العذاب، فقُتّلوا، ونُهبت أموالهم، وخرب بيت المقدس، وسُـبي أولادهم ونسـاؤهم، وذلك أول الفسـادين وعقابه، ثمّ لمّا تابوا أعاد الله لهم الدولة والغلبة، وأمدّهم بالأموال والبنين، ثم عادوا إلى فسـادهم وعصـيانهم فقتلوا أنبياء الله يحيى وزكريا عليهما السـلام، فسـلّط الله عليهم عدوًّا آخر قتلهم، ونهب أموالهم، وخرّب بيت المقدس مرة أخرى،

---

(١) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي: ج٢/ ص٢٤٦، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨ م.

(٢) مفاتيح الغيب أو ما يعرف بالتفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري: ج٢٠/ ص٢٩٩، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ.

ثمّ وعدهم الله بالنصر إن أطاعوه، وبالعقاب بنار جهنم إن عصوا وأفسدوا[١].

فلِمَ عدَلَ الذّكر الحكيم عن كل هذه الألفاظ الموجود أكثرها في القرآن الكريم، وجاء بهذه اللفظة الفريدة الوحيدة؟ لابد أن يكون لها أسرار لا تكون في غيرها من المفردات منها:

- هذه الفريدة أبلغ وأوجز وأخصر ممّا لو قال فترددوا، وتجسسوا، ونقبوا وفتشوا، وقتلوا؛ لأنها تحمل في ثناياها هذه المعاني المختلفة، ولا منافاة بينها وبين جميعها، وهذا ما يعرف بشمولية ألفاظ القرآن الكريم وتعدد معانيها، أو ما يسمّى في اللغة العربية؛ بالمشترك اللفظي. إذ إن ألفاظ القرآن الكريم ليست ذات دلالة واحدة لا تخرج عنها أينما وردت، بل إن العديد من تلك الألفاظ تحمل دلالات عدّة ومعانٍ مختلفة، يحددها السّياق والسِّباق القرآني الذي وردت فيه.

لهذا فإن الإمام السيوطي عدّ وجود الألفاظ المشتركة في القرآن الكريم من أعظم مظاهر إعجازه «حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهًا وأكثر وأقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر»[٢].

وإذا نظرنا إلى كتاب الله -ﷻ- من هذه الناحية، فإننا نراه يستعمل أشمل الكلمات في لغة العرب لمعان عديدة مقصودة، وبذلك تكثر معاني القرآن الكريم مع الإيجاز، وهذا من آثار كونه معجزة خارقة لعادة كلام البشر، ودلالة على أنه كلام ربنا العليم الذي يعلم السرّ وأخفى، وأنزل اللفظ والمعنى، فلا يخفى عليه من أمرهما شيء[٣].

فثبت أن تلك الفريدة أوفق بمقامها، ولا يقدر غيرها أن يعطي عطاءها في هذا المقام.

- أن في الجوس معنىً زائدًا عن تلك الألفاظ، وفيه خصوصية ليست فيها، وهي أن الجوس في أصل

(١) التفسير المنير لوهبة الزحيلي: ج١٥/ ص٢١ بتصرف، الناشر: دار الفكر (دمشق - سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ج٢/ ص١٤٤.

(٣) القرآن الكريم والمشترك اللفظي د. أحمد عزوز، الناشر: مجلة الوعي الإسلامي - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، تاريخ النشر: ٢٠١٢م، بتصرف.

اللغة له أكثر من دِلالة منها:

- التردَّد خِلال الدُّؤورِ والبيوتِ في الغارةِ ونحوها.
- الجُوسُ والجَوْسُ والحَوْسُ والهَوْسُ طَلَبُ الطَّوْف بالليل.
- ومنها جاسوا بمعنى: قتلوا.
- وقيل:(فَجاسُوا) فِي معنى أخذوا وحاسوا أيضًا بالحاء فِي ذَلِكَ المعنى.
- ويأتي الجَوْسُ بمعنى طلَبُ الشَّيء باستِقْصاء.
- وتأتي جُوس بفتح الجيم وضمها مصدر جاسَ يَجُوسُ، أي: فتَّش ونقَّب.
- الجَوْس: كالدوس أيضًا، وَرجل جَوّاس: يَجُوس كل شَيْء يدوسه.

قال ابن عطية: (كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد، ونحن تبيّن لنا البراعة في أكثره، ويخفى علينا وجهها في مواضع؛ لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة وميز الكلام).[1]

فهذه المعاني التي تحتملها الفريدة لا تفهم البتة من غيرها، فلذلك كانت أدقّ وأقوى في إيصال المعنى المراد ولم يغن غيرها غناءها.

- هذه الفريدة تتواءم مع سياق الكلام أشدّ وئام، حيث إنها جاءت بلفظ الماضي لتفيد تحقق وقوعه؛ أي إنهم إذا جاءوكم لا يكتفون بقتل للقاتل منكم، بل إنهم يطوقون المنازل ويتحرّون الفارّين والمخبّئين لاستقصاء القتل والسلب والأسر، فلا يتركون أحدًا من شرّهم.
- تناسب الفريدة مع ما بعدها وهو لفظ «خلال» ومعناه وَسَطُ الدِّيَارِ[2]، وقال السيوطي:(خِلَالَ

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي المحاربي: ج١/ ص٥٢، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

(٢) فتح القدير للشوكاني: ج٣/ ص٢٤٩، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.

الدِّيَارِ): أزِقَّتها[١]. والجوس لا يكون إلا كذلك فهو عبارة عن طلب الشيء بالاستقصاءِ. فمعنى الآيات إذًا؛ أنهم يفتشون بين وأواسط وأطراف «الدِّيارِ» الكائنة في بيت المقدس فيقتلون من عثروا عليه فيها من علمائهم وأحبارهم ووجهائهم غير مراعين حرمته ومن بجواره حتى إنهم ليخرّبون البيت نفسه ويحرّقون التوراة ويسلبون ويأسرون من عثروا عليه. فالقُرْآن يستخدم من الكلمات أدقّها دلالة وأتمّها تصويرًا بالنسبة إلى نظائرها، فإذا استنفدت اللغة طاقتها ولا تزال بقية من المعنى أو الصورة شاردة وراء حدود البلاغة، اتسعت لها الكلمة القُرْآنية وشملتها.

- تومئ الفريدة إلى أن العباد الذين وصفهم الله بقوله ﴿ عِبَادًا لَّنَآ ﴾، كانوا غير مسلمين، إما من أهل العراق أو الجزيرة أو غيرها، سلطهم الله على بني إسرائيل لما كثرت فيهم المعاصي وتركوا كثيرًا من شريعتهم وطغوا في الأرض، والعجيب أن التوراة أطلقت لقب عبد الله [٢]، على الفاتح البابلي وهذا يتوافق مع وصف القرآن لهم، بل لقد طلب النبي أرميا من اليهود عدم مقاومة الفاتح البابلي لأن الله هو الذي بعثه[٣].

فقتلوهم وسبوا أولادهم ونهبوا أموالهم، وجاسوا خِلَالَ الديار فهتكوا الدور ودخلوا المسجد الأقصى وأفسدوه. فما المانع أن يكون "نبوخذ نصر" قد خرج لحرب اليهود بأمر من الله وإن كان كافرًا لتأديب اليهود؛ عندئذ يصح إطلاق لقب عباد الله على أفراد جيشه. ويكون هذا مناسبًا للفظ الجوس في الآية الكريمة.

- تومئ هذه الفريدة إلى بيان كمال عدل الله -ﷻ- وأنه -ﷻ- لا يظلم الناس شيئا، وإنما يعاقبهم على

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) للسيوطي: ج٢/ ص١٦٩، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

(٢) "لذلك هكذا يقول الرب القدير: لأنكم عصيتم كلامي، فها أنا أجند جميع قبائل الشمال بقيادة نبوخذ نصر عبدي" (سفر أرميا فقرة:(٢٥:٩).

(٣) سفر أرميا فقرة: (٢٧).

ما يكون منهم من إفســاد ويعفو عن كثير، وفي هذا تبكيت من الله-ﷻ- لبني إســرائيل بعد أن ذكر ســبحانه إنعامه عليهم، فقابلوا عطايا الله بالجحود والعصــيان. "وفي هذا تنبيه للعقلاء في جميع الأمم أن يحذروا من مواقعة المعاصــي التي تؤدى إلى الهلاك، وأن يُحذّروا أممهم من ذلك، ويبصّــروهم بسوء عاقبة السير في طريق الغيّ، حتى لا يُعرّضوا أنفسهم لعقاب اللهﷻ "(١).

- جاءت هذه الفريدة تعليقًا على ســلوك معيب، وهو فســاد حال بني إســرائيل في الأرض مرتين، وفي الفســاد ضــروب وأشــكال كثيرة من إفســادهم في الأرض بالكفر والمعاصــي، ومن قتلهم الأنبياء مرتين، فاختير اللفظ القبيح عندهم والغريب. والله أعلم

- **المطلب الثاني: الفريدة الثانية: ﴿ فَسَيُنۡغِضُونَ ﴾**

وردت هذه الفريدة في قوله تعالى: ﴿ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ٥١ ﴾(٢).

قال صــاحب العين: " نغض: النُّغْضُ: غرضــوف الكتف. والنَّغَضــانُ: تَنَغُّضُ الرأس والأســنان في ارتجاف، نَغَضَت أي رجفت. وفلانٌ يُنغِضُ رأسه نحو صاحبه أي يحركه"(٣).

والنّغْض: مصــدر نَغَضَ ينغِض نَغْضًــا، وأنغضَ إنغاضًــا، وَهُوَ كَثْرَة الْحَرَكَة وَالِاضْــطِرَاب وَمن ذَلِك: نَغَضَتْ ثنيّتُه، إِذا تركت. وَبِه سُمّي الظّليم نَغْضًا ونِغْضًا، بِفَتْح النُّون وَكسرهَا أَيْضا لأنه يحرك رأسه(٤).

قال ابن عطية: «فسَــيُنْغِضُــون»، أي: يرفعون ويخفضــون يريد على جهة التكذيب، قال ابن عباس:

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم أ.د/ محمد سيد طنطاوي: ج٨/ ص٢٩٢- الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى عام ١٩٩٨م.

(٢) سورة الإسراء: الآية (٥١).

(٣) كتاب العين للفراهيدي: ج٤/ ص٣٦٧.

(٤) جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي: ج٢/ ص٩٠٧، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

والاستهزاء. قال الزجاج: تحريك من يبطل الشيء ويستبطئه. ويقال نغضت السنّ إذا تحركت وقال ذو الرمة:

ظغائنُ لم يسكنَّ أكنافَ قريةٍ بسِيفٍ وَلم تُنْغَض بِهن القناطرُ[١].

أَي لم يَمْشين عَلَيْهَا فتضطرب تحتهن[٢].

وقال السمين الحلبي: قوله: «فسَيُنْغِضُون»، أي: يُحَرِّكونها استهزاءً. يُقال: أَنْغَضَ رأسَه يُنْغِضها، أي: حَرَّكها إلى فوقُ، وإلى أسفلَ إنغاضًا، فهو مُنْغِضٌ، قال الشاعر:

أَنغَضَ نحوي رأسَه وأَقْنَعا كأنه يطلُبُ شيئًا أَطْمَعَا[٣].

وقال ابن عباس: {يُنْغِضُونَ} أي يُحَرّكون رءوسهم استهزاءً.

واستشهد بقول الشاعر:

أَتُنغِضُ لي يَوم الفخارِ وقد ترى خيولاً عليها كالأسود ضواريَا

وفيهما: استهزاءً "برسول الله -ﷺ- "[٤].

ونُغْض الكتف -بالضم-: حيث تذهب وتجيء. ونَغَضت سِنُّ الشيخ، وثنِّيةُ الغلام (ضرب): رَجَفَتْ / قَلِقَت وتحركت، وكذلك رَحْلُ البعير[٥].

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية: ج٣/ ص٤٦٢.

(٢) جمهرة اللغة لأبن دريد الأزدي: ج٢/ ص٩٠٧.

(٣) الدر المصون للسمين الحلبي: ج٧/ ص٣٦٨.

(٤) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق للدكتورة عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (ت ١٤١٩هـ): ص٤٣٨. الناشر: دار المعارف الطبعة: الثالثة، بدون تاريخ.

(٥) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د. محمد حسن حسن جبل: ج٤/ ص٢٢٢٩.

وفي الحديث: (وأَخذَ يُنْغِضُ رأسَــه إليه كَأَنَّهُ يَسْــتَعْفِهُ مَا يُقَالُ لَهُ)[١]؛ أي يُحَرّكه ويميله إليه. كالمستفهم ما يقال له. فالنغْضُ من الأذُن: مَكانُ مُعَفَق الشنْف، والجميع النغُوض[٢].

وَمِنْه قَول ســلمَان-رضي الله عنه- فِي حَدِيث إســلامه: (درت من خَلفه فإذا الْخَاتم فِي ناغض كتفه الْأَيْسَر-ﷺ-). يَعْنِي خَاتم النُّبُوَّة[٣].

أما عن ســياق هذه الفريدة كما يظهر من الآية؛ هو حديث القرآن عن إنكار المشــركين لحقيقة البعث بعد الموت بعد أن يتحولوا إلى عظام وتراب. متجاهلين حقيقة أن الإعادة أســهل من البدء، فيجيء الرد الإلهي عليهم ويأمر الله رســوله-ﷺ- أن يخبرهم أنهم، حتى لو أصــبحوا حجارة أو حديدًا فإن الله سبحانه وتعالى قادرٌ على أن يبعثهم مرة أخرى.

وفي هذه الآيات يشير القرآن إلى تحول الموتى إلى حجارة أو حديد وهذه حقيقة تم إثباتها علميا.

ليس هذا فحســب؛ بل أصــبحت هذه الحقيقة أســاس علمي لدراســات أكثر تعقيدًا فيما يعرف بعلم المتحجرات (Paleontology)، أو علم الحفريات (Fossils)[٤]. وبالتالي فإن القرآن قد ســبق

(١) إسناده صحيح، أخرجه الإمام أحمد في "مسنده"(مسند بني هاشم -!-، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب- -عن النبي -ﷺ-): ج٥/ ص٨٨، برقم: (٢٩١٩)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

(٢) المحيط في اللغة لإسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد: ج٤/ ص٥٥٣، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، الناشر دار الكتب-بيروت، الطبعة الأولى عام ١٩٩٤م.

(٣) غريب الحديث لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: ج٢/ ص١٩٦، المحقق: د. عبد الله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني – بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧هـ.

(٤) الحفريات أو المتحجرات هي عبارة عن بقايا أو أثار الحيوانات أو النباتات التي حفظت بواسطة أسباب طبيعية على سطح القشرة الأرضية ومصطلح Fossil يشير الى كل ما هو موجود أو مدفون في الأرض بصورة عامة، لذا فان الأحياء التي تعيش حاليا لا يمكن اعتبارها متحجرات عندما تموت وتدفن لان معظم علماء المتحجرات يعزون تصنيف المتحجرات على أنها الكائنات التي دفنت في أزمان معينة. حيث إن الحد الأدنى لعمر المتحجرات يعتبر ١٠ آلاف سنة

العلم الحديث في الإشارة إلى حقيقة تكوّن الحفريات نتيجة تحوّل الموتى إلى حجارة أو حديد.

وهي لفظة وحيدة في القرآن صيغة ومادة(١).

قال الواسطيُّ: ليس في القرآن حرف غريب من لغة قريش غير ثلاثة أحرف لأن كلام قريش سَهْلٌ لَيِّنٌ واضحٌ. وكلام العرب وحشيّ غريب فليس في القرآن إلا ثلاثة أحرف غريبة: {فسينغضون}: وهو تحريك الرأس(٢).

وتأويلها في المسألة بتحريك الرأس استهزاء.. وتأويلها عند الطبري: فسيهزُّون لك رءوسهم برفع وخفض، كما يحرك اليائسُ من الشيء المستبعدُ له رأسَه يقال: نَغَضَتْ سِنُّهُ؛ إذا تحركت(٣). وكذلك المنغض في كلام العرب إنما هو حركة ارتفاع ثم انخفاض، أو انخفاض ثم ارتفاع ولذلك سمي الظليم نغضًا؛ لأنه إذا عجّل المشي ارتفع وانخفض وحرك رأسه(٤). وهو قريب من قول الفراء في معاني القرآن(٥).

وفي صفته -ﷺ-: عن عليٍّ-رضي الله عنه- قال: كانَ النَّبِيّ -ﷺ- نَغَّاضَ البَطْنِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ -رضي الله عنه-مَا نَغَّاضُ البَطْنِ فَقَالَ: أَي مُعَكَّنه. وَكَانَ عُكَنُهُ أحسنَ من سَبائِك الذَّهَبِ والفِضَّةِ-ﷺ-(٦).

ويصل أعمار بعض المتحجرات إلى ٤ مليار سنة. وتمثل المتحجرات المكتشفة وغير المكتشفة وأماكن تواجدها في التكوينات الصخرية والطبقات الرسوبية ما يعرف باسم السجل الحفري.

(١) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق لعائشة بنت الشاطئ: ص٤٣٨.

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ج٢/ ص١٢٤.

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة: ص٢٥٧.

(٤) جامع البيان للطبري: ج١٤/ ص٦١٩.

(٥) معاني القرآن للفراء: ج٢/ ص١٢٥.

(٦) تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي: ج١٩/ ص٧٨، تحقيق: جماعة من المختصين من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، أعوام النشر: (١٣٨٥ - ١٤٢٢ هـ) (١٩٦٥ - ٢٠٠١ م) وصَوّرتْ أجزاءً منه: دار الهداية، ودار إحياء التراث وغيرهما. والحديث في كتب

ومنه حديث عثمان: "سَـلِسَ بولي ونَغَضَـت أسـناني" أي قَلِقَتْ وتحرّكت. وفيه: إن الكعبة لما احترقت "نَغَضَـت"، أي وهت وتحركت. فالنَّغْض والنَّهْض أخوان، ولما كان في العُكن نهوض ونتوء عن مستوى البطن قيل للمعكن: نغاض البطن(١).

فالإنغاض بمعنى التحريك، من التقريب الذي لا يفوتنا معه ما لم يفت الفرّاء والطبري والراغب من ملحظ اضـطراب الحركة وارتجافها في النغض والإنغاض، فليس كل تحرُّكٍ إنغاضًـا(٢). . . بل الاهتزاز والاضطراب أصل في دلالة النغص(٣).

ويَقْوى المعنى إذا فهمنا الآية بهذا الملحظ من الارتجاف والاضـطراب حين بصـك سـمعهم البرهـانُ المفحم: ﴿ ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ ﴾(٤).

وتخونهم الطمأنينة، فينمّ عنها إنغاضُ رءوسهم، وإن لجّوا في العناد(٥).

ويظهر من المعنى اللغوي للكلمة أن الفريدة توحي بالحركة، فالإنغاض بمعنى التحريك، والمعنى المحوري للكلمة معناه: تحركّ الشـيء حركة مختلفة لخفّته ورخاوته أو لضـعف امتسـاكه واشـتداده بأصـله. كتَحَرّك (السـنّ والرحْل والكتِف والرأس) حركة اهتزاز بقوة. والظليمُ إذا عَجِل في مِشْـيئته ارتفع رأسـه وانخفض. ومن إنغاض الرأس الموصـوف قوله تعالى: ﴿ فَسَيُنۡغِضُونَ ﴾ نغض

الغريب، منها: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الجزري: ج٥/ ص٨٧ - تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي. الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(١) مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار لجمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّني الكجراتي، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م.

(٢) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق لعائشة بنت الشاطئ: ص٤٣٨.

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (نغض): ج٥/ ص٤٥٤.

(٤) سورة الإسراء: من الآية (٥١).

(٥) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق لعائشة بنت الشاطئ: ص٤٣٨.

الرؤوس هنا التفات إليه -ﷺ- كأنما استثباتًا من التعجب والاستبعاد[١].

ثم قال جل شأنه: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ ﴾[٢]، وهذا القول في الآية الكريمة صادر عن مشركي العرب كما يفهم من سياق الحديث الوارد فيه هذا القول في سورة الإسراء.

وإنكارهم للبعث مرتكز-هنا- على شبهة واحدة، هي: ذهاب أرواحهم وصيرورة أبدانهم عظامًا نخرة، ورُفاتًا متفتّتة متهرِّئة، وقد ضمّنوا قولهم هذا استفهامين، أولهما: تقريري لا ينازعون في حصوله، وهو: تحول أجسادهم بعد الموت إلى عظام وفُتات.

أما الثاني: فإنكاري يستبعدون حصوله، وهو إعادة خلقهم مرة ثانية كما كانوا قبل الموت، والمعنى الذي قصدوه هو: أوَقْتَ صيرورتنا عظامًا متفتّتة أنحن مخلوقون خلقًا ثانيًا بعد الذي كان لنا قبل هذه الحالة المغايرة لما كنا عليه؟ فجاءت هذه الآيات الكريمة حاكيةً ذلك الحوار مع منكري البعث والنشور والحساب، وقد كانت هذه المسألة العظيمة من أعظم معضلات المواجهة بين الرُّسل وأقوامهم، وقد اشتدّوا، واشتطّوا في الإنكار والتكذيب، حتى حكى الله عنهم فقال سبحانه: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ * قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴿٥١﴾ ﴾[٣]، فأنكروا المعاد، وكفروا بالبعث، واستبعدوا حصوله، ولسان كافرهم ناطقٌ بذلك، كما حكى الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ ﴾[٤]، فأجابهم سبحانه على ما أثاروه وردّ عليهم ردًّا مفحمًا للخصم، لا يسع

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د. محمد حسن حسن جبل: ج٤/ ص٢٢٢٩.

(٢) سورة الإسراء: من الآية (٥١).

(٣) السورة السابقة: الآيات (٤٩-٥١).

(٤) سورة يس: الآية (٧٨).

العقل إلا الإذعان له، مبيّنًا لهم، أن من خلقهم أوّل مرّة قادر على إعادتهم ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾[1]. إن حجم الإفحام والإلزام في هذا الجواب يهد الجبال.

بل إعادتهم أيسر وأسهل فمن بدأ الخلق بلا نظير سابق قادرٌ بداهةً أن يعيدهم مرةً أخرى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2].

وبإقامة الحجة، وتفنيد الشبهة، ووضوح الدليل، يحاور المسلم ويجادل دفاعًا عن دينه، ونُصرة لعقيدته، مع الالتزام بالأحسن في الأسلوب، وبالأرفق في الخطاب، والله تعالى يُعطي على الرفق واللّين، ما لا يعطي على العنف والشدة.

بعد هذا البيان ما السر في التعبير بهذه الفريدة؟

- إن التعبير بهذه الفريدة ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ ﴾، هو كناية عن تلك الرؤوس المتعجّبة المستهزئة والمتحجّرة والجامدة، فالكناية حركيّة ترسم حركة تلك الرؤوس وخوائها[3].

ولا شك أن الكناية في التعبير أبلغ من الإفصاح؛ فهي تميل إلى التشفير الدّلالي وتجعل المُخاطب يُمعن النّظر في هذه الحالة المتردّية التي بلغها هؤلاء القوم من نفورهم وعنادهم، والدلالات المتعدّدة التي اشتملها النّص، فتَشي بقيم أسلوبية تعبيرية تُكثّف المعنى وتجعله أكثر إيحاء[4].

- اشتقاق هذه الفريدة مِن مادة {إنغاض} بمعنى مدّ الرأس نحو الطرف المقابل بسبب التعجُّب. فيه

(١) سورة يس: الآيات (٧٩-٨١).

(٢) سورة الروم: الآية (٢٧).

(٣) الكناية في القرآن الكريم موضوعاتها ودلالاتها البلاغية، للدكتور أحمد فتحي رمضان الحياني: ص١٨٠. بتصرف- الناشر دار غيداء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عام ٢٠١٣م.

(٤) الخطاب القرآني في شخصية الرسول الكريم محمد-ﷺ-، للدكتور عدنان جاسم محمد الجميلي: ص٣٣٣، الناشر دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، الطبعة الأولى عام ٢٠١٢م.

إشارة إلى أنه لا أحد يعرف -وبدقة- متى تقوم القيامة؟ حتى شخص الرسول-ﷺ- وهذا الأمر هو من أسرار الكون والخليقة التي لا يعلمها سوى الله تبارك وتعالى.

إضافة إلى ذلك، فإن القيامة إذا كانت في تصوراتنا المحدودة بعيدة فإن مقدمة القيامة والتي هي الموت، تعتبر قريبة منا جميعا، كما إن استخدام كلمة "عسى" في الآية الشريفة تدل على الوجوب أي هو قريب، قال المفسرون: عَسَى مِنَ اللهِ وَاجِبَة[١]، أي: يكون لا محالة، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ. ونظيره قوله: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [٢]، ﴿ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾[٣].[٤]

- التعبير بهذا الفعل الفريد (ينغضون) في هذ المجال ينقل إلينا صورة هؤلاء المكذبين وهم يحرّكون رؤوسهم عُلوًّا وسفلًا، ويمينًا ويسارًا، وفيه إشارة إلى التكذيب المصحوب بالتكبر والاستعلاء. وتلك الإشارة بالرأس أبلغ من أي تعبير لفظي، والإنسان يلجأ إلى لغة الإشارة ليعبر بها أحيانًا عما يعتمل في نفسه، وقد صاحب هذه الإشارة سؤالهم الدال على استبعاد البعث ﴿ مَتَىٰ هُوَ ﴾؟ ليلعب أسلوب التدرّج والترقّي هنا دور التحدّي والتعجيز والسخرية من قلة أفهامهم، وضحالة تفكيرهم؛ إذ يبدأ من العظام والرفات ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا ﴾، ويتدرج إلى الحجارة فالحديد﴿ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾ ثم يترقّى إلى ما هو في تصوّرهم- أشد صلادة وقساوة من ذلك ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى

(١) مفاتيح الغيب للرازي: ج٢٠/ ص٣٥٣.

(٢) سورة الأحزاب: من الآية (٦٣).

(٣) سورة الشورى: من الآية (١٧).

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي: ج٥/ ص٩٩، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

صُدُورِكُمْ﴾[١].

- إن في الفعل {فَسَيُنْغِضُونَ} تصوير بالحركة، والتصوير بالحركة يُعدّ طريقًا من طرق الإبانة والتعبير عن المعنى، بل إنه أوكد في الدلالة من البيان القولي الذي تتشكّل دلالاته ومعانيه عن طريق التعبير باللغة أحيانًا، بسبب ما توفّر في ذلك البيان الحاكي من مشاهد متحركة زائدة عن الدلالة باللغة، يصل بها إلى قمة النفاذ والتأثير في النفس الإنسانية[٢].

وهذا من أبلغ البراهين القاطعة التي لا تعرض فيها شبهة البتّة، بل لا تجد العقول السليمة غيرَ الإذعان والانقياد لها.

- جاءت هذه الفريدة متوافقة مع سياق المعنى، فالآية الكريمة وردت في خطاب الكافرين المستبعدين لوقوع المعاد والبعث بعد موتهم فهم مع إنكارهم وتعجّبهم من هذه الحقيقة نجدهم يجسّدون أبلغ صور الاستبعاد من خلال حركة الجسد التي يقومون بها سخرية وتعجّبًا، فهذا التعبير كناية عن التكبّر والاستهزاء؛ إذ الانغاض هو تحريك الرأس علوًّا وسفلًا، وقد صوّر هذا العقل حالهم أبرع تصوير، ولولا ذكره لاحتمل استفهامهم (متى هو) أن يكون حقيقًا بريئًا.

والتصوير بالحركة في هذه الفريدة يبرز أمرين: أولهما صورة الذل والانكسار لهؤلاء الكفار أمام هذه الحجج الدامغة.

ثانيهما: صور الاستهزاء والسخرية التي يكون عليها حالهم وهم ينظرون إلى النبي-ﷺ- ويحرّكون رؤوسهم من أعلى وأسفل استنكارًا لقوله واستهزاء به[٣].

---

(١) بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم. (المضارع نموذجا) تأليف الدكتور كمال عبد العزيز: ص٣١، الناشر الدار الثقافية للنشر- القاهرة، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٩م.

(٢) من بلاغة التعبير اللفظي في الخطاب القرآني "دراسة تحليلية" للدكتور شومة محمد البلوي: ص١٠٠، بتصرف واختصار، بحث منشور بمجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد ١٢ العدد ١ بتاريخ ٢٠١٥م.

(٣) المرجع السابق: ص١٠١.

- وردت هذه الفريدة في سياق إنكار كفار قريش للبعث، ومع أن هذه القضية بسيطة فقد عرضها القرآن في مواضع عديدة؛ لأنهم لم يكونوا يتصورونها بهذه البساطة حيث كان يصعب عليهم تصور البعث بعد البِلى، ولذلك فهم ينكرونها أشد الإنكار، وفي هذا إيماء إلى ما في تصورهم من جمود وتحجّر.

فانظر كيف عبّر القرآن الكريم بالحركة عن هذه الحالة، حالة الرّفض المشوب بأشياء كثيرة بقوله ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾، أي يميلونها تلك الإمالة التي تكون ممّن يرفض ما تقول ويستبعده، وينطوي في نفسه على استجهالك، وعدم الالتفات إليك وكأنك تقول قولًا لا يصح ولا يُعقل.

فثبت من خلال ما تقدم أن هذه الفريدة هي أدق معنى، وأوفى في بيان المراد من غيرها، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يسد غيرها مسدّها. والله أعلم

المطلب الثالث: الفريدة الثالثة: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾

وردت هذه الفريدة في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾[١].

والاحتناك يطلق في اللغة ويراد به معنيان:

المعنى الأول: الإتيان على الشيء واستئصاله ومنه قول العرب: احتنك الجرادُ الأرضَ إذا أتى على نبتِها فأكلَه[٢]. ويقولون: احتنكتُ الرجل، أي أخذت ماله، فلم أبقِ له شيئًا[٣].

وقولهم: أَحنكُ الشاتينِ، وأحنك البعيرين، آكلُهما، أي: أكثرهما أكلًا[٤].

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٦٢).

(٢) مجمل اللغة لابن فارس القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ): ص٢٥٤، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

(٣) كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي: ج٣/ ص٦٥، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال بدون طبعة وتاريخ.

(٤) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده المرسي: ج٣/ ص٤٥.

والحَنَكُ والأحناكُ: الجماعة من الناس ينتجعون بلدًا يرعونه، يقال: ما ترك الأحناكُ في أرضـــنا شـــيئًا، يعنون الجماعات المارة.

قَالَ أَبُو نُخَيْلَةَ: إِنَّا وكُنَّا حَنكًا نَجْدِيّا ... لمَّا انْتَجَعْنا الوَرَقَ المَرْعِيَّا ... فَلم نجد رُطْبًا وَلَا لَوِيّا[1].

فاحتناكُهم نبتَ الأرضِ استئصالهم لما ظهر منه وإتيانهم عليه.

المعنى الثاني: أن تجعل للدابة حنكًا أي حبلًا تديره من تحت حنكها تقودها به.

يقال: "حَنَكَ الدابة يَحْنِكُها ويَحْنُكُها حَنْكا واحتَنَكَها، شـد في حِنكها الأسـفل حبلًا يقودها به، وحَنكَها يَحنِكُها ويَحْنُكُها، جعل الرسن في فيها"[2].

قال الأزهري: " أخبرني المنذري عن ثعلب عن ابن الأعرابي أنشده لزبان بن سيار الفزاري:

لئن كنـت تُشْـكَى بـالجمـاحِ ابنَ جعفر فـإن لـديـنـا مـلـجـمـيـن وحـانـكـا"[3].

وتُشْكَى أي: تُتَّهم. وحانك: مَن يدقّ حنكه باللِّجَام.

ومعنى البيت: إن كنت يا ابن جعفر ممن لصـقت بهم تهمة الجماح والتطاول علينا؛ فإنا قادرون على إلجامك وتحنيكك حتى نروِّضَك، كما تروَّضُ الدابة.

وقد ذكر هذين المعنيين يونسُ بن حبيب الضبّي[4]: " قَالَ مُحَمَّد بنُ سَلَاّم: سألتُ يونُسَ عَن هَذِه الْآيَة

(١) لسان العرب لابن منظور: ج١٠/ ص٤١٦.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده المرسي: ج٣/ ص٤٥.

(٣) تهذيب اللغة للأزهري: ج٤/ ص٦٥.

(٤) يونس بن حبيب الضبّي هو: أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ يُوْنُسُ بن حَبِيْبٍ الضَّبِّيُّ مَوْلاهُم، إمام نحاة البصرة في عصره، أَخَذَ عَنْ: أَبِي عَمْرِو بن العَلاءِ، وَحَمَّادِ بن سَلَمَةَ. وَعَنْهُ: الكَسَائِيُّ، وَسِيْبَوَيْه، وَالفَرَّاءُ، وَآخَرُوْنَ. وَعَاشَ: ثَلاثًا وَثَمَانِيْنَ سَنَةً. أَرَّخَ خَلِيْفَةُ بن خَيَّاطٍ مَوْتَهُ: فِي سَنَةِ ثَلاثٍ وَثَمَانِيْنَ ومائَةٍ وَقَدْ لَقِيَ عَبْدَ اللهِ بن أَبِي إِسْحَاقَ، فَسَأَلَهُ عَنْ لَفْظَةٍ، وَكَانَ لِيُوْنُسَ حَلْقَةٌ يَنْتَابُهَا الطَّلَبَةُ وَالأُدَبَاءُ، وَفُصَحَاءُ الأَعْرَابِ. وذَكَرَهُ: ثَعْلَبٌ، فَقَالَ: جَاوَزَ المائَةَ. وَقِيْلَ: إِنَّهُ لَمْ يَتَزَوَّجْ، وَلَا تَسَرَّى. وَلَهُ تَوَالِيْفُ فِي القُرْآنِ وَاللُّغَاتِ. ينظر: سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: ج٨/ ص١٩١، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة:

فَقَالَ: يُقَال: كَأَن فِي الأَرْض كَلأً فاحتنكه الجَرادُ أَي أَتَى عَلَيْهِ. وَيَقُول أَحَدُهُم: لم أجد لِجامًا فاحْتَنَكتُ دَابَّتِي أَي ألقيتُ فِي حَنَكها حَبْلًا وقدته بِهِ "[1].

فذكر المعنيين عن العرب، وتورّع عن تفسير الآية بأيّ منهما وكان هذا دأب عدد من علماء اللغة يتحاشون الكلام في التفسير؛ إلا ما تيقَّنوا معناه وبدا لهم فهمُه.

ولم تختلف كلمة المفسرين عما سبق:

يقول السمين الحلبي: "ومعنى ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ لأَسْتَوْلِيَنَّ عليهم استيلاءَ مَنْ جَعَلَ في حَنَكِ الدابَّةِ حَبْلاً يقودُها به فلا تأبى ولا تَشْمُسُ عليه. يقال: حَنَك فلانٌ الدابةَ واحْتَنَكها، أي: فَعَل بها ذلك، واحْتَنَكَ الجرادُ الأرض: أكلَ نباتها قال: نَشْكُو إليك سَنَةً قد أَجْحَفَتْ ... جَهْداً إلى جَهْدٍ بنا فأضعفَتْ... واحتنكَتْ أموالَنا وجَلَّفَتْ" [2].

والآثار المروية عن الصحابة والتابعين في تفسير هذه الفريدة كثيرة منها؛ ما روي عن ابن عباس ومجاهد وابن زيد -رضي الله عنهم-. فروى الطبري عن ابن عباس-رضي الله عنهما- في قوله:﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾: لأستولينّ"[3].

وعن مجاهد قال: قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾، لأحتوينهم"[4].

الثالثة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م. وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي: ج٢/ ص٣٦٥ برقم (٢٢٠٦)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.

(١) تهذيب اللغة للأزهري: ج٤/ ص٦٥. ولسان العرب لابن منظور: ج١٠/ ص٤١٦.

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي: ج٧/ ص٣٨٠. والجلف: الْقطع. يُقَال: جلفت الشَّيْء أجلفه جلفا إِذا قطعته. قَالَ أَبُو حَاتِم: إِذا قطعته وَلم تستأصله فقد جلفته فَهُوَ مجلف. وجلفت ظفره عن إصبعه: استأصلته، وهو أبلغ من جرفت. ينظر: جمهرة اللغة لابن دريد الأزدي: ج١/ ص٤٨٧. وأساس البلاغة للزمخشري: ج١/ ص١٤٤. تحقيق: محمد باسل عيون السود- الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري: ج١٧/ ص٤٨٩.

(٤) المرجع السابق: ج١٧/ ص٤٨٩

وقال ابن زيد في قوله: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قال: لأضلنهم.

قال الطبري: هذه الألفاظ وإن اختلفت فإنها متقاربات المعنى، لأن الاستيلاء والاحتواء بمعنى واحد، وإذا استولى عليهم فقد أضلهم(١).

قال ابن حجر: " وَرَوَى سَعِيد بْن مَنْصُور مِنْ طَرِيق اِبْن أَبِي نَجِيح عَنْ مُجَاهِد فِي قَوْله: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ قَالَ: لَأَحْتَوِيَن"(٢).

فأما أثر مجاهد فهو متجه إلى المعنى الأول، قائم عليه.

وأثر ابن عباس وقع التنازع بين العلماء في تفسيره، فمن نظر إلى المعنى الأول وجده متناسبًا معه، فالاستيلاء فيه معنى الاستحواذ والاحتواء.

وممّن فسره بهذا المعنى النحاس حيث قال: " أكثر أهل اللغة على أن المعنى لأستولين عليهم ولأستأصلنهم من قولهم احتنك الجراد الزرع إذا ذهب به كله. وقيل: هو من قولهم حنك الدابة يحنكها به إذا ربط حبلًا في حنكها الأسفل وساقها حكى ذلك ابن السكيت، وحكى أيضا احتنك دابته مثل حنك فيكون المعنى: لأسوقنهم كيف شئت"(٣).

ومن نظر إلى المعنى الثاني وجده أيضًا منسجمًا معه، فالاستيلاء فيه معنى التملك والتمكّن من الشيء.

ولذلك قال السمين الحلبي: "ومعنى ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ لأَسْتَوْلِيَنَّ عليهم استيلاءَ مَنْ جَعَلَ في حَنَكِ الدابَّةِ حَبْلاً يقودُها به فلا تأبى ولا تُشْمِسُ عليه"(٤).

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري: ج١٧/ ص٤٨٩.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: ج٨/ ص٣٩١، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

(٣) معاني القرآن لأبي جعفر النحاس: ج٤/ ص١٧١، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، عام ١٤٠٩هـ.

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي: ج٧/ ص٣٨٠.

وهو يشتمل على المعنيين معًا ولذلك لم يزد عليه الفراء حيث قال: " وقوله: ﴿لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ يقول: لأستولينَّ عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ يعنى المعصومين"[١].

فاحتنكهم الشيطان بأن احتواهم واجتالهم واستأصلهم وأتى عليهم كلهم إلا من عصمه الله تعالى واحتنك أيضًا أتباعه كما يحتنك الرجل دابته، يقودهم إلى معصية الله.

فتفسير ابن عباس بديع جدًّا لانتظامه المعنيين واختيار هذه اللفظة (لأحتنكن) التي اشتملت على هذين المعنيين، من روائع التعبير القرآني.

وقد اختلف العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ على خمسة مذاهب:

المذهب الأول: اختار أصحابه المعنى الأول، وأشهر القائلين به: الخليل بن أحمد، والبخاري، وابن فارس، وابن سيده، والبيضاوي ونسبه النحاس لأكثر أهل اللغة، ورجحه الشوكاني[٢].

قال الخليل بن أحمد: "واحتَنَكتُ الرجلَ: أخذتُ مالَه ومنه قوله تعالى: ﴿لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا﴾"[٣].

وقال البخاري:" (لأَحْتَنِكَنَّ) لأَسْتَأْصِلَنَّهُمْ، يُقَالُ: احْتَنَكَ فُلاَنٌ مَا عِنْدَ فُلاَنٍ مِنْ عِلْمٍ اسْتَقْصَاهُ"[٤].

قال ابن فارس: "ويقال احتنك الجرادُ الأرضَ، إذا أتى على نبْتها؛ وذلك قياس صحيح، لأنه يأكل فيبلغ حنكَه. ومن المحمول عليه استئصال الشيء، وهو احتناكه، ومنه في كتاب الله تعالى:

(١) معاني القرآن للفراء: ج٢/ ص١٢٧.

(٢) ينظر: كتاب العين للفراهيدي: ج٣/ ص٦٥.

(٣) كتاب العين للفراهيدي: ج٣/ ص٦٥.

(٤) صحيح البخاري: ج٤/ ص١٢١، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة – بيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، والإحالة لبعض المراجع المهمة.

﴿لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا﴾، أي أُغوِيهم كلَّهم، كما يُستأْصَل الشيءُ إلا قليلا"[١].

وقال البيضاوي:" ﴿لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا﴾، أي لأستأصلنهم بالإغواء إلا قليلًا لا أقدر أن أقاوم شكيمتهم، من احتنك الجراد الأرض إذا جرد ما عليها أكلًا، مأخوذ من الحنك"[٢].

المذهب الثاني: واختار أصحابه المعنى الثاني، فقالوا المراد من قوله (لأَحْتَنِكَنَّ): ما قاله الْقُتَبِيُّ: "لأقودنهم كيف شئت"[٣]. وذلك كما تقاد الدابة التي يحتنكها صاحبها أي: يجعل لها حبلاً يديره من تحت حنكها فيقودها به.

وبه قال ابن عطية، ومحمد الأمين الشنقيطي، وابن عاشور.

يقول ابن عطية: " وقوله لأحتنكن معناه: لأميلن ولأجرن، وهو مأخوذ من تحنيك الدابّة، وهو أن يشد على حنكها بحبل أو غيره فتنقاد، وألسنة تحتنك المال، أي تجْتَرّه، ومنه قول الشاعر:

تَشـــكـو إلـيـك ســـنـةً قـد أجْـحَـفَـتْ جـهـدًا إلـى جـهـدٍ بـنـا فـأضـــعـفـت

واحتنكت أموالنا وجلفت ومن هذا الشعر، قال الطبري لأحتنكن معناه: لاستأصلنّ، وعبر ابن عباس في ذلك بـــ (لأستولين)"[٤]. وأدرج ابن عطية شاهد المعنى الأول في المعنى الثاني، وقد تبعه على ذلك القرطبي[٥].

قال محمد الأمين الشـــنقيطي: "الذي يظهر لي في معنى الآية: أن المراد بقوله ﴿لَأَحۡتَنِكَنَّ

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ج٢/ ص١١١.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: ج٣/ ص٢٦٠، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

(٣) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) لأبي منصور الماتريدي: ج٧/ ص٧٦، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي المحاربي: ج٣/ ص٤٧٠.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي: ج١٠/ ص٢٨٧، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م.

ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾، أي لأقودنهم إلى ما أشاء، من قول العرب: احتنكت الفرس: إذا جعلت الرسن في حنكه لتقوده حيث شئت"(١).

وقال ابن عاشور: " والاحتناك: وضع الراكب اللجامَ في حَنَك الفرس ليركَبه ويَسيّره، فهو هنا تمثيل لجلب ذرية آدم إلى مراده من الإفساد والإغواء بتسيير الفَرس على حسب ما يريد راكبه"(٢).

المذهب الثالث: ذكر أصحابه المعنيين ولم يرجحوا معنى على الآخر، وهو ما فعله: يونس بن حبيب، وابن السكّيت، وابن قتيبة، والنحاس، وأبو الليث السمرقندي، والراغب الأصفهاني، والبغوي، وابن الجوزي، والرازي، وأبو حيان، وابن الهائم، والفيروز آبادي، وغيرهم.

المذهب الرابع: جمع أصحابه بين الأقوال. وهو صنيع: أبي عبيدة، والأخفش، وابن جرير، والواحدي.

من ذلك ما قاله أبو عبيدة عند تفسيره لقوله: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾، حيث قال: "مجازه: لأستميلنّهم ولأستأصلنهم، يقال: احتنك فلان ما عند فلان أجمع من مال أو علم أو حديث أو غيره أخذه كله واستقصاه قال: نشكو إليك سَنة قد اجحفت ... جهداً إلى جَهدٍ بنا فأَضعفتْ ...واحتنكتْ أموالنا وجلفّتْ"(٣).

وقال الواحدي: "لأحتنكنَّ ذريته لأستأصلنَّهم بالإغواء ولأستولينَّ عليهم"(٤).

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي: ج٣/ ص٧١٥، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الخامسة، ١٤٤١ هـ – ٢٠١٩ م (الأولى لدار ابن حزم).

(٢) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» للطاهر بن عاشور التونسي: ج١٥/ ص١٥١، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى: ج١/ ص٣٨٤، المحقق: محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجى- القاهرة الطبعة: ١٣٨١ هـ.

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي: ص٦٤٠، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

وممن جمع بين الأقوال عند تفسيره لهذه الآية الكريمة، الإمام الطبري[١].

المذهب الخامس: وقد فسر أصحابه الآية بلازم معناها. فقالوا في تفسيرها: لأضلنهم، ولأغوينهم، ولأستزلنهم، كما فعل ذلك ابن زيد، وأبو الليث السمرقندي.

قال الطبري: في قوله: لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلا قَلِيلا قال: لأضلنهم"[٢].

وسياق هذه الفريدة كما يظهر من الآية هو الحديث عن إبليس ورفضه السجود لآدم-عليه السلام- ثم تهديده بإضلال ذريته من بعده والاستيلاء على عواطفهم ومشاعرهم، وتوجيه كل سلوكهم وجهة شيطانية، مستثنيًا من ذلك عددًا قليلًا ليس له عليهم سلطان.

بعد هذا البيان ما السر في التعبير بهذه الفريدة؟

- في التعبير بهذا الفعل ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ استعارة تصريحية؛ حيث شبّه استيلاء إبليس على بعض العباد، وتجريدهم من إرادتهم ليكونوا طوع أمره باحتناك الجراد للأرض وما عليها، أو باحتناك الدّابة وتوجيهها باللّجام أو الرَّسن[٣]. وحُذف المشبَّه وصرّح بالمُشبَّه به [٤]، ولا شك أنَّ للاستعارةِ مزيةً وفَضلاً، وأنَّ المجازَ أَبدًا أبلَغُ منَ الحقيقة[٥].
- التعبير بهذه الفريدة: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ ينفرد هنا ولا يتكرر، لأن المقام يقتضيه ولا يغني غيره عنه.

---

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري: ج١٧/ ص٤٨٩.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري: ج١٧/ ص٤٨٩.

(٣) الرَّسَنُ، مُحَرَّكَةً: الحَبْلُ؛ كَمَا فِي الصِّحاحِ، زادَ غيرُه: الَّذِي يُقادُ بِهِ البَعِيرُ. والرَّسَنُ: مَا كانَ مِن زِمامٍ على أَنْفٍ، جمعه أَرْسانٌ. ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي: ج٣٥/ ص٩٢، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت-المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، أعوام النشر: (١٣٨٥-١٤٢٢هـ) (١٩٦٥ - ٢٠٠١ م)، وصَوّرتْ أجزاءً منه: دار الهداية، ودار إحياء التراث وغيرهما.

(٤) بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم. (المضارع نموذجا) تأليف الدكتور كمال عبد العزيز: ص ٣٢.

(٥) دلائل الإعجاز في علم المعاني للإمام عبد القاهر الجرجاني: ج١/ ص٧٠ - المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

وبالرجوع إلى المواقف المتشـابهة مع هذا الموقف الإبليسـي في القرآن الكريم من مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾[١]، وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾[٢]، نجد أنه يؤدي من المعاني ما لا يؤديه غيره نحو﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾، ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾؛ إذ هما يكتفيان بالغواية وتزيين الباطل، أما هذا المعنى فهو أشمل لأنه يصـوّر تحكّم إبليس المطلق على بعض العباد[٣]. فاختيار هذه اللفظة ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ التي اشتملت على هذين المعنيين، من روائع التعبير القرآني.

- مجيئ هذه الفريدة في هذا السـياق جاء نتيجة لحسـد إبليس لآدم-عليه السلام- الذي خلقه الله من طين ثمّ كرّمه عليه ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾[٤]، فهو -والعياذ بالله- يقدح في أمر الله وحكمته، ويقول: ليس من الحكمة أن تفضّـل هذا الذي خُلق من طين عليّ، فهذا كِبْر على أوامر الله وشرعه. ولما كان الحسود يتمنّى زوال المحسود من الوجود؛ ناسب قوله ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾. يضاف إلى بلاغة التفرد لهذه الفريدة القرآنية؛ أن مقام الحسـد بسـبب التكريم لم يتكرّر إلا في هذا الموضـع، ولذلك تفرّد قوله ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ بالتعبير عن غيظ إبليس وتصميمه على إضلال ذرية آدم-عليه السلام-[٥]. وإنما اقتصـر على إغواءِ ذُرِّيَّةِ آدمَ-عليه السلام-، ولم يذكُرْ إغواءَ آدمَ-عليه السلام- وهو أوْلى بالذِّكرِ -إذ آدمُ هو أصْـلُ عَداوةِ الشَّـيطانِ النَّاشـئةِ عن الحسَـدِ من تَفضـيلِه عليه-؛ لأنَّ هذا الكلامَ قاله بعدَ أنْ أَغوى آدمَ-عليه السلام-، وأُخْرِجَ من الجنَّةِ، فقد شَفى غليلَه منه أولًا، وبقِيَت العداوةُ مُسْترسلةً في ذُرِّيَّةِ آدمَ-عليه السلام-

(١) سورة ص: الآية (٨٢).

(٢) سورة الحجر: الآية (٣٩).

(٣) بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم. (المضارع نموذجا) تأليف الدكتور كمال عبد العزيز: ص ٣٢. بتصرف.

(٤) سورة الإسراء: من الآية (٦٢).

(٥) بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم. (المضارع نموذجا) تأليف الدكتور كمال عبد العزيز: ص ٣٢ بتصرف واختصار.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ ﴾[1][2].

- اشـــتقاق هذه الفريدة (احتنك): هو أن يكون الاحتناك هاهنا افتعالا من الحنك، والمعنى كما ذُكر، لأقودنّهم إلى المعاصي، كما تُقاد الدابّة بحنكها غير ممتنعة على قائدها.

ولا شك أن الإيجاز الذي تأتّى هنا من الصيغة يناسب نَبْرة الغضب والتمرّد التي تتطلب قلّة العبارات، فالغاضـب لا يفصِّـل كلامه تفصـيلًا، بل يلقيه قذائف، والكلمة توحي بالمسـتوى البهيمي لمن يتبع الشيطان وأتباعه[3].

- اتّساق السياق القرآني بين الفريدة وبداية الآية وختامها بقوله: ﴿ إِلَّا قَلِيلَا ﴾، والذي يشير إلى كثرة أتباع إبليس اللّعين، فهذا الختام يتناسب مع بداية الآية والفريدة التي وردت فيها؛ فكأن الكفار الذين هم حزب الشيطان وإن كانوا أكثر من المسلمين في العدد لكنهم أقل من المؤمنين في الفضل والشرف وعلوّ الدرجة عند الله، والمؤمنون وإن كانوا أقلّ من الكفار لكنّهم أكثر منهم؛ لأنّ لهم الفضل والشرف والسؤدد والغلبة في الدنيا وعلوّ الدرجة في الآخرة. وأنشد بعضهم في هذا المعنى قال:

وهـــم الأقـــل إذا تَـــعِـــدّ عشـــيـــرة والأكـــثـــرون إذا يُـــعـــدّ الســـؤدد[4].

فكيف مع هذه العداوة البيّنة يتولاه كثير من الناس ويطيعونه؟ فدلّت هذه الفريدة على تفرّد هذا الخلق الذميم وهو الحسد، من أجل التكريم والعزم على الإفساد والتضليل، وعلى تفرّد موطنها في الذكر الحكيم. والله أعلم

---

(١) سورة فاطر: من الآية (٦).

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: ج١٥/ ص١٥١.

(٣) جماليات المفردة القرآنية للدكتور أحمد ياسوف: ص٢٧٧ بتصرف يسير، الناشر: دار المكتبي – دمشق، الطبعة: الثانية سنة ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م.

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن: ج١/ ص٤٢٩، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

المطلب الرابع: الفريدة الرابعة: ﴿مَّوْفُورًا﴾

وردت هذه الفريدة في قوله تعالى: ﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا﴾[١].

وفي معنى هذه الفريدة يقول السمين الحلبي: ﴿جَزَاءً مَّوْفُورًا﴾ أي غير منقوصٍ. يقال: وفرته أفره وفرًا فهو موفور، أي لا تنقصون من جزائكم شيئًا. ومن كلامهم إذا قدم لأحدهم قرى: تُوْفر وتُحْمد، أي يتوفر عليك مالك لا تنقص منه شيئًا، مع بقاء الحمد والثناء عليك. ومنه: توفير الثمن، أي عطاؤه كاملاً من غير نقصٍ. ووفرت عرضي بمالي. ومنه قولُ زهير:

ومن يَجْعَلِ المعروفَ مِنْ دُوْنِ عِرْضِهِ يَفِرْه ومَنْ لا يَتَّقِ الشتم يُشْتَمِ

والوافر: المال التام. يقال: وفَرت كذا أفِره فِرةً وَوَفْرًا، ووفرته على التكثير، والوفرة من الشعر: ما بلغ المنكب، واللِّمَّةُ: ما بلغ الأذنين، والجُمَّةِ: ما زاد على الوفرة. ومزادة وفر وسقاء وفر: لم ينقص من أديمها شيء. ورأيت فلانًا ذا وفارةٍ، أي مروءةٍ تامةٍ وعقلٍ رصين[٢].

ويقول الراغب في مفرداته: "وَفَرْتُ عرضَهُ: إذا لم تنتقصه، وأرضٌ في نبتها وَفْرَةٌ: إذا كان تامّا، ورأيت فلانا ذا وَفَارَةٍ. أي: تامّ المروءة والعقل، والوَافِرُ: ضربٌ من الشِّعْر"[٣].

وقال ابن منظور: "والوَفْرَة: شَعر الرأْس إِذا وَصَلَ إِلى شَحْمَةِ الأُذن. والوافِرَةُ: أَلْيَةُ الْكَبْشِ إِذا عَظُمَتْ، وَقِيلَ: هِيَ كُلُّ شَحْمَةٍ مُسْتَطِيلَةٍ"[٤].

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٦٣).

(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي: ج٤/ ص٣٢٦، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: ص٨٧٧، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

(٤) لسان العرب لابن منظور: ج٥/ ص٢٨٩.

ويقول الإمام الرازي: "ثم قال: ﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾، وهذه اللفظة قد تجيء متعدّيًا ولازمًا، أما المتعدي فيقال: وَفَرْته أَفِره وَفْرًا وفِرَةً فهو موفور وموفر، قال زهير:

ومن يَجْعَلِ المعروفَ مِنْ دُوْنِ عِرْضِـــهِ يَـفِـرْه ومَـنْ لا يَـتَّـقِ الشـــتـم يُشْـــتَـمِ

واللازم كقوله: وفر المال يفر وفورا فهو وافر، فعلى التقدير الأول: يكون المعنى جزاء موفورا موفرا. وعلى الثاني: يكون المعنى جزاء موفورا وافرا"[١].

مما سبق يظهر أن هذه الفريدة لها أربعة أوجه في تأويلها، تلك الأوجه هي:

الأول: أن يكون الجزاء الموفور بمعنى الجزاء الوافر، وهذا التأويل نقله الإمام الطبري عن مجاهد بطريقين[٢]، وجوزه الطوســي فقال: " يقال موفورًا بمعنى وافر، فيقول مجاهد، كأنه ذو وفر، كقولهم لابن أو ذو لبن"[٣]. ولذا جوز الرازي هذا الوجه[٤].

قال الكفوي: " يأتي الْمَفْعُول بِمَعْنى الْفَاعِل فِي ثَلَاثَة مَوَاضِــع {حِجَابا مَسْــتُورا} {وعده مأتيا} {جَزَاء موفورا}[٥].

واختاره الشوكاني فقال: "{جَزَاء موفورا} أي وافرًا مكمّلًا، يقال وفر المال بنفسه يفر وفورًا، فهو وافر"[٦]. أي إن (وفر) المســتعمل لازمًا نحو وفر المال يفر وفورًا بمعنى كمل وكثر إنما يُعدّى بالتضــعيف فيقال وفّر المال أي كثّره وكمّله[٧]، فعلى هذا الوجه يكون التضــعيف في (وفّر) للتعدية

(١) مفاتيح الغيب للرازي: ج٢١/ ص٣٦٧.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل للبغوي: ج٥/ ص١٠٤، وجامع البيان للطبري: ج١٧/ ص٤٩٠.

(٣) التبيان في تفسير القرآن لمحمد بن الحسن الطوسي: ج٦/ ص٤٩٧، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى عام ١٤٤١هـ.

(٤) مفاتيح الغيب للرازي: ج٢١/ ص٣٦٧.

(٥) الكليات لأبي البقاء الحنفي: ص٦٧٦، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.

(٦) فتح القدير للشوكاني: ج٣/ ص٢٨٧.

(٧) لسان العرب لابن منظور: ج٥/ ص٢٨٨ بتصرف.

وليس للتكثير.

الثاني: أن يكون الموفور بمعنى الموفّر فهو اسم مفعول من المزيد (وفّر) المتعدي بالتضعيف وهو ما نقل عن قتادة والمعنى: جزاءً موفّرًا عليكم، لا ينقص لكم منه(١).

واختاره صاحب العين فقال: "والمستعمل -أي في التعدّي- وفّرناه توفيرًا"(٢).

الثالث: أن يكون الموفور بمعنى الموفّر فهو اسم مفعول من (وفّر) الدال بالتضعيف على معنى المجرّد (وفر)، إذ لما كان الفعل وفر يأتي متعديًّا ولازمًا؛ جوّز الإمام الطبري هذا الوجه، فأوّل (جزاءً موفورًا) بـ "ثوابًا مكثورًا مكملا"(٣). وجوزه آخرون(٤).

الرابع: الموفور اسم مفعول من الثلاثي المتعدّي (وفره يفرُه) إذا كثّره، وموفورًا اسم مفعول من وفرته، ووفر يستعمل متعدّيًا. ومنه قول زهير: ومن يجعل المعروف في غير أهله ... يكن حمده ذما عليه ويندم

والآية الكريمة من هذا، فعلى ذلك يكون الموفور اسم مفعول من المجرّد (وُفِر) المبني للمجهول. وهذا الوجه اختاره صاحب التهذيب(٥). وعلى هذا الوجه يكون المزيد (وفّر) للتكثير.

فالمعنى على ما ذكر أهل اللغة والتفسير أن جزاءهم متمّمًا مكمّلاً فهو موفر ووافر؛ والموفور

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ج٥/ ص٨٦، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ.

(٢) كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي: ج٨/ ص٢٨٠.

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج١٤/ ص٦٥٥.

(٤) ينظر: تفسير أبي السعود: ج٥/ ص١٨٣، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت-بدون طبعة وتاريخ. وروح البيان لإسماعيل حقي: ج٥/ ص١٨٠، الناشر: دار الفكر – بيروت، ومحاسن التأويل للقاسمي: ج٦/ ص٤٧٤، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ، وغيرهم.

(٥) تهذيب اللغة للأزهري الهروي: ج١٥/ ص١٨٠، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م. واللباب في علوم الكتاب لابن عادل: ج١٢/ ص٣٢٨.

على ذلك هو: الكثير الذي لا نقصان فيه عن قَدْر الاستحقاق، وقيل: هو الذي لا يزول ولا ينقطع[١].

فالمعنى كما قال المبرد: "لا يُعْزَلُ عنهم من عذابهم شيء"[٢].

أما عن سياق هذه الفريدة:

فقد وردت في قصة آدم-عليه السلام- مع إبليس اللعين، فكان ذلك ردًّا من الله-تعالى- بعد أمره بِالسُّجُود لَهُ، ثم بيان وعيده -سبحانه وتعالى- لإبليس وكلّ من تبعوه بأنها جهنم وبئس المصير.

والسر في التعبير بهذه الفريدة دون غيرها من الألفاظ لما فيها من معان منها:

- أن هذه الفريدة تلتئم دون غيرها مع سياق الآية؛ حيث إن سياقها يُظهر معنى المفعولية في الجزاء الموصوف بالوفرة، وكأن السّياق هو الذي طلب اسم المفعول، وبالتالي كان من الممكن أن يقول وفيرًا أو وافرًا، وكأن الجزاء بنفسه من أراد أن يكون تامًّا وكاملًا دون نقص لقبح ما صدر منهم وهذا غاية التهديد. فالموفور صفة للجزاء وهو مصدر جزاه على عمل، أي أعطاه عن عمله عِوضًا. وهو هنا بمعنى اسم المفعول كالخلق بمعنى المخلوق. وأعيد الجزاء للتأكيد، اهتمامًا وفصاحةً كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[٣].
- أنه سبحانه أحسن في جريان وصف الموفور على موصوف متصل به دون فصل. "وهذا غاية التهديد، وفيه إشارة وبيان بألّا مِراء ولا تفويت، ولو أخّر عقوبة قوم فإن ذلك إمهال لا إهمال، ومكر واستدراج لا إنعام وإكرام"[٤]. وأصل الكلام: فإن جهنم جزاؤكم موفورًا. فانتصاب جزاء على

(١) التيسير في التفسير لنجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي: ج٩/ ص٤٣٩، المحقق: ماهر أديب حبوش، وآخرون، الناشر: دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، إسطنبول – تركيا، الطبعة: الأولى، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩م.

(٢) لباب التفاسير لأبي القاسم محمود بن حمزة الكرماني: ص١١٤٣، أصل الكتاب أربع رسائل دكتوراة بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض من عام: - ١٤٠٤ حتى ١٤٢٩هـ.

(٣) سورة يوسف: من الآية (٢). والتحرير والتنوير لابن عاشور: ج١٥/ ص١٥٢.

(٤) لطائف الإشارات = تفسير القشيري- لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري: - المحقق: إبراهيم البسيوني- الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر-الطبعة: الثالثة.

الحال الموطئة، وموفورًا صفة له، والحال في المعنى، أي جزاء غير منقوص(١).

- في التعبير بهذه الفريدة عن ذلك الجزاء الذي أوعد الله تعالى به إبليس ومن تبعه من الجزاء الموفور باسم المفعول؛ إشارة إلى أنه تعالى سعّر جهنم منذ أن خلق الخلق كلهم، فمن ابتغى لها سبيلًا لقي مبتغاه موفورًا. وقد استعمل بمعنى اسم الفاعل أي وافرا على أسلوب المجاز العقليّ. ولو قيل إنه بمعنى الفاعل لفهم منه أن هذا الجزاء وافر بنفسه وهو غير مفهوم(٢).
- تشير هذه الفريدة إلى دفع توهّم غير المراد؛ فإن كثرة أتباع إبليس من ذرية آدم-عليه السلام- ربما كان موهمًا إلى عدم جزائهم على الوجه الأوفى والأكمل، فجيء بهذه الفريدة احترازًا عن ذلك؛ ولذا يقول الطبري: "عذاب جهنم جزاؤهم، ونقمة من الله من أعدائه، فلا يعدل عنهم من عذابها شيء"(٣).
- دلّت هذه الفريدة علي أن إبليس وأتباعه لا ينقصون من عقابهم الّذين يستحقونه شيئًا، وفي ذلك استخفاف بإبليس وهوانٍ له، بعد أن ظنّ هذا الظن الصادق، بأنه يغوي أكثر الخلق، لأن اللّه تعالي كان قد أخبر الملائكة أنه سيجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء، فكان قد علم بذلك. و قيل: إنما قال ذلك، لأنه وسوس الي آدم-عليه السلام- فلم يجد له عزمًا، فقال: بنو هذا مثله في ضعف العزيمة، وهذا الوجه لا يصح عندنا، لأن آدم-عليه السلام- لم يفعل قبيحًا، ولا ترك واجبًا، فلو ظنّ إبليس أن أولاده مثله لانتقض غرضه، ولم يخبر بما قال.
- في هذه الفريدة مبالغة في التوبيخ والوعيد الشديد لإبليس عليه لعنة الله؛ فكل معصية توجد، يحصل لإبليس مثل وزر عاملها كما قال-ﷺ-: «وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور: ج١٥/ ص١٥٢.

(٢) التحول الصرفي إلى صيغة اسم المفعول في القرآن الكريم بين التوجيه الاعتباطي والإعجاز البياني، للدكتور كاطع جار الله سطام والدكتورة جنان ناظم حميد: ص٥٥، بتصرف. بحث منشور بمجلة دولة-العراق، بدون تاريخ.

(٣) تفسير الطبري: ج١٧/ ص٤٩٠.

عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»[١].

فلما كان إبليس هو الأصل في كل المعاصي صار المخاطب بالوعيد هو. فالتقدير فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤكم، فإنه لما تقدم اسم غائب وضمير خطاب غلّب الخطاب، فقال: جزاؤكم. أو أن يكون هذا الخطاب مع الغائبين على طريقة الالتفات[٢].

يدلّ لذلك المعنى المحوري لها؛ حيث هو كمال الشيء حتى يزيد أو يكاد يزيد عن معتاد حاله أو مُسْتَحَقّه: كالسقاء الذي لم تُقطع من جلده الزيادة (بل أدخلت فيه) .... ومنه: "أرض وَفْراء: في نباتها فِرَةٌ أي وُفور لم تُرْعَ، ووفّر عليه حقه واستوفره: استوفاه ". ومن الكمال المادّيّ البالغ استُعملت في الكثرة: "الوَفْر من المال والمتاع: الكثير الواسع. هم متوافرون أي كثير. وفُر الشيءُ، ووفّره: كثّره. وهذا قريب من قوله تعالى: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾[٣].[٤]

- تكشف هذه الفريدة عن سوء العاقبة لداء خطير، وخُلق ذميم، ومرض كبير، إذا ما انتشر في أمة أهلكها، وإذا ساد في مجتمع أفسده، ألا وهو الحسد الذي هو اعتراض على قضاء الله وقدره، وعدم الرضا بما قدره الله -ﷻ-؛ لأن الحاسد يكره هذه النعمة التي أنعم الله بها على المحسود. حيث بيّن تعالى أن هذا

(١) جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن المنذر بن جرير، عن أبيه (كتاب الزكاة- باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار): ج٣/ ص٨٦ برقم (١٠١٧). المحقق: أحمد بن رفعت بن عثمان حلمي القره حصاري - محمد عزت بن عثمان الزعفران بوليوي - أبو نعمة الله محمد شكري بن حسن الأنقروي، الناشر: دار الطباعة العامرة - تركيا، عام النشر: ١٣٣٤ هـ، ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٣٣ هـ لدى دار طوق النجاة - بيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، والإحالة لبعض المراجع المهمة.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي: ج٢٩/ ص٢٧٧. بتصرف. والبحر المحيط لأبي حيان: ج٧/ ص٧٩. المحقق: صدقي محمد جميل- الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

(٣) سورة الزخرف: من الآية (٧٥).

(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د. محمد حسن حسن جبل: ج٣/ ص١٦٥٠.

الكِبر والحسد هما اللذان حملا إبليس على الخروج من الإيمان والدخول في الكفر، فهذه بلية قديمة ومحنة عظيمة للخلق ولذا وصف الجزاء بهذا الوصف المخيف؛ فقال: «{جَزَاء موفورا}: أي مكمّلاً، وصفت بِهِ على الْمجَاز وَالْمُبَالغَة»[١]، فجاءت هذه الفريدة بهذا الوصف، في مقابل هذه المعصية العظيمة وهذا المرض الخطير. فالحاسد مخذول، وموزور، ومغموم، ومهجور. وفي الآخرة جزاؤه موفور.

- دلالة الفريدة-والله أعلم- على استحقاقهم الجزاء المقدر لهم؛ تأكيد على تمام العدل الإلهي، فإبليس وأتباعه جزاؤهم جهنم جزاء وافيًا مكملًا، لا يدّخر منه شيء بما يستحقون من سيء الأعمال، وما دنّسوا به أنفسهم من قبيح الأفعال.
- تومِئُ هذه الفريدة إلى بيان أنواع الجزاء في القرآن؛ فقد ورد بمعنى الثواب، ومقابل العمل. وقد جاء التعبير بهذه الفريدة مناسبًا لوصف جزاء إبليس وأتباعه بالجزاء الموفور، وهو تعبير يليق بهم، وبحال معصيتهم إذ لا تنفعهم حين ذلك توبة، فالجزاء في الآية هنا بمعنى العقوبة، بينما يختلف الجزاء في بعض الآيات؛ فيأتي أحيانًا بمعنى مطلق المقابل المجانس للفعل أول القول السابق، أو بمعنى الثواب والتَّكْرِمة. وهذا خلاف ما جاء في الآية الكريمة التي معنا. فلم يكن-سبحانه وتعالى- ليصف جزاء إبليس ومن معه بالجزاء الأوفى مثلًا كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ﴾[٢]، فهذا جزاء يليق بالمؤمنين الصالحين لأن جزاء الصالح وافر، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ٦٣﴾ وذلك أن جهنم ضررها أكثر من نفع الآثام، فهي في نفسها أوفى[٣]. كما أن تأويل الموفور بالوافر بعيد؛ لأن سياق الآية يُظهر معنى المفعولية في الجزاء الموصوف بالوفرة، فالموفور هنا صفة للجزاء[٤].

---

(١) الكليات لأبي البقاء الحنفي: ص٨٨٢.

(٢) سورة النجم: الآية (٤١).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي: ج٢٩/ ص٢٧٧.

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور: ج١٥/ ص١٥٢.

كما أن الكلمة تشير – أيضا – إلى سعة جهنم واستيعابها لهم جميعا، دون أن تضيق بهم، أو أن تعجز عن الإحاطة بهم؛ ليكون هذا متناغما مع قوله تعالى في آية أخرى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾(١). والله أعلم

المطلب الخامس: الفريدة الخامسة: ﴿ قَاصِفًا﴾

وردت هذه الفريدة في قوله تعالى ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾(٢).

وردت كلمة الريح والرياح في القرآن الكريم في عديد المواضع، فوردت تارة مفردة وأخرى في صيغة الجمع ورغم تشابه الجذر اللغوي بين الكلمتين إلا إنها وردت بمعاني مختلفة.

فحين تُذكر كلمة الريح بالمفرد فإنها تحمل العذاب كالآية التي معنا.

أما إذا جاءت الرياح بالجمع فإنها تدل على الرحمة والبركة، أو مبشرة بنعمة تأتي من بعد كالغيث والإخصاب قال الله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾(٣).

وقال أيضا: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ﴾(٤).

بينما في سورة سبأ وردت كلمة الريح مبهمة وغامضة والله أعلم حيث قال تعالي: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ

(١) سورة ق الآية: (٣٠).

(٢) سورة الإسراء: الآية (٦٩).

(٣) سورة الحجر: الآية (٢٢).

(٤) سورة الأعراف: من الآية (٥٧).

عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[١]؛ حيث استعملت كلمة الريح مع سليمان-عليه السلام- لكنها لم تُخصص لشيء فجاءت عامة قد تكون للخير أو للشر لأن الله سخّرها لسليمان-عليه السلام- يتصرف بها كيف يشاء.

فجاءت كلمة الريح هنا مفردة لتبيّن لنا أنها تحمل العذاب الواقع عليهم بسببِ كفرِهم، أو بسبب الذي كفَروا به.

والريح القاصف: يقصد بها حين تكون قوة الريح "١١ بيفورت"[٢] وسرعتها "٥٦-٦٥" عقدة ويكون اسمها (إعصار) ويكون البحر شاهقًا يصاحبه ظواهر غير عادية وعندما تكون قوة الريح (١١ أو١٢ بيفورت) فإنها تدمّر السفن وتغرقها وخاصة ريح الهاريكن (Hurricane) التي تعصف بالسفن وتؤدي إلى تكسير سواريها وأعمدتها وتدمرها حيث تصل سرعة الريح إلى أكثر من "٦٥ عقدة" وهذه السرعة هائلة جداً ترفع أمواج البحر من "١٨-٢٠ متراً".

وعندما يرتفع الموج يرفع معه مقدمة السفينة إلى أعلى ثم ترتطم بشدة على سطح البحر، ثم ترتفع مؤخرتها إلى أعلى ثم ترتطم بشدة على سطح البحر، محدثة فجوات تحت جسم السفينة أثناء صعودها وهبوطها بهذه القوة، فتتخلخل أجزاء السفينة بالإضافة إلى تحطيم الأعمدة والسواري.

هذه الريح القاصف التي تقصف السفينة وتدمرها لا أمل معها للنجاة، وقد وصفها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا

(١) سورة سبأ: الآية (١٢).

(٢) سلم بوفورت أو مقياس بيفورت لتبيان قوة الريح هو مقياس (سلم) يستخدم لمعرفة سرعة الرياح نسبة إلى الأيرلندي فرانسيس بوفورت (١٧٧٤م- ١٨٥٧م) أول من أبتكر مقياسًا لقوة الرياح، ينظر: مجلة الإعجاز، العدد ٢٢ (رمضان) ١٤٢٦ه، ص ٥١، وويكيبيديا الموسوعة الحرة.

كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾[1].

وعن تلك الفريدة يقول السمين الحلبي: " قوله تعالى: ﴿قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ هو الذي إذا مرّ على شيءٍ قصفه وكسره من بناءٍ وشجرٍ وغير ذلك. ورعد قاصف: في صوته تكسر. وسمي صوت المعازف قصفًا لذلك، ثم تجوّز به عن كل لهوٍ؛ فقيل: فلان يقصف قصفًا. وروي عن ابن عمر: "الرياح ثمانٍ: أربع عذاب وأربع رحمة؛ فأما الرحمة فالناشرات، والذاريات، والمرسلات، والمبشرات. وأما العذاب فالعاصف والقاصف وهما في البحر والصرصر والعقيم وهما في البر".

وفي الحديث: "أنا والنبيون فِراط القاصفين"[2] قال ابن الأنباري: معناه متقدمون في الشفاعة لقومٍ كثيرين متدافعين مزدحمين. وقيل: هم الذين يزدحمون حتى يقصف بعضهم بعضًا، بدارًا إليها"[3].

وللقصف عند أهل اللغة معانٍ كثيرة، فالقَصفُ: كَسْرُ القَنَاةِ ونَحْوِها. قَصِفَتِ القَنَاةُ قَصَفًا: انْكَسَرَتْ ولم تَبِنْ، فإذا بانَتْ قيل: انْقَصَفَتْ. ورِيْحٌ قاصِفٌ: أي كاسرة. وقَصْفُ الرَّعْدِ: صوته. ومنه قيل لصوت المعازف: قَصْفٌ، ويتجوّز به في كلّ لهو.

والأقْصَفُ والقَصفُ: الشَّيْءُ يَتَقَصَّفُ نِصْفَيْنِ. والقِصْفَةُ: القِطْعةُ. وثَنِيَّةٌ قَصْفاءُ.

ويُقال للقَوْم إذا خَلَّوْا عن شَيْءٍ فَتْرَةً وخِذْلانًا: انْقَصَفُوا عنه. ورَجُلٌ قَصِفٌ سريع الانكسارِ عن النَّجْدَة. الأقْصمُ بِالْمِيم للَّذي انْكسَرَتْ ثنّيتهُ، وقَصَفَ البَعِيرُ قَصْفًا وقُصُوفًا وقَصِيفًا: وهو صَرِيْفُ البَعِيرِ بأسْنانِه. والقَصْفُ: اللَّهْوُ واللَّعِبُ. والقَصْفَةُ: رِقَّةُ الأرْطى، وقد أقْصَفَ.

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٦٩). ينظر: الإعجاز في تقسيم الرياح البحرية د. صالح بن عبد القوي: ص١٤٥، بحث ضمن المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة. الناشر دار جياد للنشر والتوزيع- المملكة العربية السعودية- الطبعة الأولى عام ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

(٢) الحديث أخرجه بطوله الطبراني في الكبير: ١٨/ ٣٦٤؛ المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية. قال الهيثمي بن إبراهيم: وفيه راوٍ لم أعرفه ورجاله مختلف فيهم ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ١٠/ ٢٥، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م.

(٣) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي: ج٣/ ص٣١٤.

والقَصِيْفُ: هَشِيْمُ الشَّجَرِ. والانْقِصَاف: الاندِفاع.

والقَوْصَف- بالفتح: القَطِيفَةُ. والقَصْفَةُ – بالفتح: مِرْقاة الدرجة.. والقَصِيف: البَرْدِيّ إذا طال. وقَصَفَ النبتُ: طال حتى انحنى من طوله. وقَصَفَ العودَ: كَسَره وقَصِفَ (تعب) وتقصّف: انكسر، والقاصف: الرّيح الشَّدِيدَة الَّتِي تقصف الشَّجرَةَ [١].

ولم تختلف أقوال المفسرين في معناها فجاءت كلها بمعنى الرِّيح الشديد، في البرّ كانت أو في البحر: يقول الزمخشري: "القصيف هو الصوت الشديد، كأنها –أي الريح- تتقصّف أي تتكسر. وقيل: التي لا تمرّ بشيء إلا قصفته"[٢].

وقال ابن الجوزي: " القاصف: الريح التي تقصف الشجر، أي: تكسره"[٣].

وقال الإمام الرازي: " وقوله: فنرسل عليكم قاصفا من الريح القاصف الكاسر يقال: قصف الشيء يقصفه قصفًا إذا كسره بشدة، والقاصف من الريح التي تكسر الشجر، وأراد هاهنا ريحًا شديدة تقصف الفلك وتغرقهم"[٤].

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري: ج٨/ ص٢٩٠، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: ص٦٧٣، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د. محمد حسن حسن جبل: ج٤/ ص١٧٩٥، والمحيط في اللغة لابن عباد: ج٥/ ص٢٧٠، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، الناشر: عالم الكتب- بيروت لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري الفارابي: ج٤/ ص١٤١٦، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري: ج٢/ ص٦٨٠. بتصرف. مع الكتاب حاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري، وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعي)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ.

(٣) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي: ج٣/ ص٣٩، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

(٤) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير للرازي: ج٢١/ ص٣٧٢.

ويقول القرطبي: " الْقَاصِفُ: الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ الَّتِي تَكْسِرُ بِشِدَّةٍ، مِنْ قَصَفَ الشَّيْءَ يَقْصِفُهُ، أَيْ كَسَرَهُ بِشِدَّةٍ. وَالْقَصْفُ: الْكَسْرُ، يُقَالُ: قَصَفَتِ الريح السفينة. وريح قاصف شَدِيدَةٌ. وَرَعْدٌ قَاصِفٌ: شَدِيدُ الصَّوْتِ. يُقَالُ: قَصَفَ الرَّعْدُ وَغَيْرُهُ قَصِيفًا. وَالْقَصِيفُ: هَشِيمُ الشَّجَرِ. وَالتَّقَصُّفُ التَّكَسُّرُ. وَالْقَصْفُ أَيْضًا: اللَّهْوُ وَاللَّعِبُ، يُقَالُ: إِنَّهَا مُوَلَّدَةٌ"[1].

وقيل إن القاصف المُهلكة في البَرّ، والعاصف المغرقة في البحر[2].

أما عن سياق هذه الفريدة كما يظهر من الآية:

هو حديث القرآن عن المُعْرِضين عن الله -ﷻ- في البَرّ، بعد ما اعترفوا بتوحيده في البَحر، فهذه الآيات تصف لنا قومًا أنجاهم الله من خطر البحر بعد أن دعوا الله -ﷻ- ولم يدعوا غيره فلما أنجاهم إلى البر أعرضوا فبيّن- سبحانه- لهم أن قدرته لا يعجزها شيء، لا في البحر ولا في البر ولا في غيرهما.

فجاءت الآيات بهذا الوصف العجيب وبهذه العبارات السهلة الواضحة والمعبرة عن الحقائق لتدلّنا على أنه وحيٌ أنزله الله عز وجل على نبيّه-ﷺ-.

وقد جاء التعبير القرآني بهذه الفريدة دون غيرها لفوائد عديدة منها:

- أن الفريدة -لمن يتأملها بدقّة، ويُجريها على لسانه بأناة- تُشعر بثقل حروفها، وهذا الثقل يحكي معنى الفريدة بوضوح، للتعبير عن التماسك والشدّة والتركيز. ولم يقل الرياح المختلفة الاتجاهات؛ لأن الاتجاه الواحد شرط من شروط القوة في قوانين الفيزياء. وكلمة قاصف تناسب كلمة "ريح" لأنه كما ذكرت -سالفا- أن أي موضع في القرآن الكريم تذكر فيه الريح مفردة تكون مقترنة بالعذاب كـ (عاصف- قاصف- عقيم- صرصر) إلا في سورة يونس في قوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾[3]، وسورة يوسف في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ج١٠/ ص٢٩٣.

(٢) جامع البيان للطبري: ج١٧/ ص٥٠٠.

(٣) سورة يونس من الآية: (٢٢).

يُوسُفَ﴾[١]. فهو لا يتناسب مع قوله رياح لأنها لا تأتي إلا في سياق الرحمة مثل: (مبشرات- حاملات-مرسلات-ذاريات). ولن تقدر لفظة غيرها أن تؤدي هذا المعنى بجرس حروفها كما تؤديه تلك الفريدة. فالمعنى المحوري لها قطع امتداد الشيء قَصًّا أو كَسْرًا أو ما إليها[٢].

- التعبير بهذه الفريدة فيه من الترهيب والإنذار ما فيه لأن لفظ القصف في قوله تعالى: ﴿قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾، يدلّ بمعناه اللغوي على التحطيم والتكسير[٣]. فالمعنى فيها يرجع إلى أصل صحيح يدلّ على كسر لشيء، والقصف هنا يوحي بالشدّة والعنف وإثارة الرّعب من التكسير والأصوات المرعبة التي تُحدثها تلك الرّيح، وهو ما قصده الشارع الحكيم من سياق الآيات وهو بثّ الخوف والخشية في نفوس هؤلاء القوم لعلهم يرجعون أو يؤمنون.
- ذكرت هذه الفريدة في موضع واحد في القرآن الكريم، وهو قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾، وقد اتفقت كلمة المفسرين، وأهل اللغة، وأهل الغريب[٤]؛ على أن معناها الريح الشديد؛ والرّيح هو: حركة الهواء بسرعات كبيرة، وبنوبات دائمة متكرّرة بسرعة جدًّا. أي ريحًا فيها شدّة تكسر ما يقابلها، وتُفني السفينة وأهلها وغيرها فيغرقكم بمواجهة الريح وبتموّج الأمواج الهائلة وبجريان ماء البحر. فاستعمل اللفظ في لازم معناه وهو الصوت اللازم للكسر.
- ترمز هذه الفريدة إلى تفرد موقعها في القرآن الكريم؛ حيث إنه قد جاء بترتيب الرياح بحسب قوّتها

(١) سورة يوسف من الآية: (٩٤).

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د. محمد حسن حسن جبل: ج٤/ ص١٧٩٥.

(٣) التفسير الوسيط للدكتور محمد سيد طنطاوي: ج٨/ ص٣٩٦.

(٤) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج١/ ص٣٨٥، المحقق: محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجى – القاهرة، الطبعة: ١٣٨١ هـ. والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: ص٦٧٣.

وأثرها ولم يُطلقها مجرد أوصاف متناثرة، فبدأ بالساكنة فهي أضعف نوع ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ﴾[1]، ثم ذكر الأقسام الأخرى التالية:

١-الريح الطيبة ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾[2].

٢- الريح العاصفة ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾[3]، وفيها أمل للنجاة.

٣-الريح القاصفة والمدمرة ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾[4].

فمن أوجه الإعجاز القرآني لهذه الفريدة ترتيبه هذه الأنواع بحسب قوتها ونتائجها، وهذا هو كلام الله -ﷻ- الذي جعل البحر عِلمًا لنبيّه-ﷺ-. فتأثير الرياح على البحر لم تكن ظاهرة ولا جليّة ولم تُعرف إلا بعد الاستقصاء والدراسات المستفيضة، والقرآن يبيّن أن السبب المباشر لحالة البحر وتغيّر أحواله هي الرياح، وأن العَلاقة بين البحر والرياح هي العَلاقة الرئيسة التي تحكم حالة البحر وما ينشأ عنه من ظواهر، ولم يتمكن الإنسان من معرفة ذلك بدقة إلا بعد أن ركب البحر وخاض أمواجه بأحدث الأجهزة والسفن فهذا وجه من أوجه الإعجاز القرآني.

- إن تعبير القرآن الكريم بهذه الفريدة عن أعقد الظواهر وأدقها قد جاء في أبسط صورة وأحسن عبارة، لتضمنه الحقائق العلمية بأدق تفاصيلها، وقدرته على التعبير عنها بأبسط الألفاظ والعبارات، فلو تكلم عالم من علماء البحار وحدثك عن علاقة الرياح بالبحار فسيقول كلامًا علميًا طويلًا مزدحمًا بالمعلومات التي ربّما لا تستوعبها إلا بصعوبة ، أما القرآن الكريم فيصف لنا هذه الحالة ويسوقها بعبارة سهلة، دقيقة، وبلفظ مضبوط يغطي الأمر كله ويشرح لنا أعقد القضايا والظواهر بأبسط

(١) سورة الشورى من الآية: (٣٣).

(٢) سورة يونس من الآية: (٢٢).

(٣) السورة السابقة من الآية: (٢٢).

(٤) سورة الإسراء من الآية: (٦٩).

أسلوب قال تعالى :﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾[١] ، وإن هذا التبسيط للحقائق العلمية في القرآن مع الإحاطة الدقيقة والألفاظ المعبرة عن الحقائق بكفاءة عالية قد أثار البروفسور «ألفرد كرونر»[٢] فقال : «إن القرآن الكريم هو الكتاب العلمي المبسط » فتعبير القرآن الكريم عن أعقد الظواهر بعبارات سهلة وقليلة وواضحة وجه من أوجه الإعجاز القرآني.

فالمعلومات عن الرياح والبحر لم تتجمع للإنسان ولم تتيسر له إلا بعد رحلات طويلة وواسعة في البحار كلها، وبعد أن رأى أنها تسير في البحار وفق سنة وقواعد ثابتة، وقام عبر عدة أجيال من الباحثين برصد لجميع حالات البحر وتوصل إلى تقسيمها وترتيبها، وهذا لا يتأتى إلا بركوب جميع البحار وعبر فصول السنة كلها ومشاهدة جميع الحالات، ودراسة كل حالة من الحالات، ووضع فوارق وفواصل وعلامات تدل عليها، ولم يتم هذا إلا بعد أن تمكن الإنسان من ركوب البحر بأحدث الأجهزة والتقنيات، واستخدام القياسات الدقيقة، تحدثنا هذه الدراسات عن ارتفاع الموج بالمتر وقوة الريح بالبيفورت وسرعتها بالعقدة. ومن المستحيل أن يكون ذلك معروفًا في عهد محمد -ﷺ-، أو بعده بقرون[٣].

بل إن هذا التقسيم لم يكن موجودًا في كتب البحار قبل عصر النهضة الحديثة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فإذا ما رجعنا إلى تاريخ البحار كله لا نجد مثل هذا التقسيم ولا هذا التصنيف مما يدل على أن هذا التقسيم لم يكن في مقدور البشر قبل ١٤٠٠ عام، فهذا العلم المحيط بالبحر وأحواله، والرياح فيه، والظواهر المصاحبة له، والأحوال الدقيقة لكل حالة من أحواله، لا يمكن أن يكون معلومًا

(١) سورة القمر الآية: (١٧).

(٢) هو: عالم الجيولوجيا الألماني ألفريد كرونير أحد أكبر جيولوجيي العالم المشاهير، وهو أستاذ علم طبقات الأرض ورئيس قسم علم طبقات الأرض في معهد جوسيينسيس، جامعة يوهانز جوتينبيرج، مينز، ألمانيا. ينظر: رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا لعبد الرحمن محمود: ص٢٠٣.

(٣) الإعجاز في تقسيم الرياح البحرية د. صالح بن عبد القوي: ص١٤٨.

عند أحد من البشـر في زمن النبي -ﷺ-، قال تعالى: ﴿ٱتقيكالكلكمكىكيلمليلىماممنرنزنمننىني﴾[1]، ليدلنا هذا على أنه من عند العليم الحكيم الخبير سـبحانه، وليكون معجزة قاطعة وحجة واضـحة ومستمرة لمحمد -ﷺ- تشهد بأنه الرسول الخاتم -ﷺ-. والله أعلم

المطلب السادس: الفريدة السادسة: ﴿لِدُلُوكِ﴾

وردت هـذه الفريـدة في قولـه تعـالى ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨﴾[2].

أما غسق الليل فظلامه وأما الدلوك فقد اخْتَلَفَ فِي معناه أَهْلُ التَّفْسِيرِ وَالْفِقْهِ وَاللُّغَةِ:

يقول السمين الحلبي في معنى الدلوك: "الدلوك: الزوال، وهو ميلها عن الاستواء إلى الغروب قال الراغب: وهو من قولهم: دلكت الشـمس: دفعتها بالراح. ومنه دلكت الشـيء في الراحة. ودالكت الرجل: ماطلته. ومنه حديث الحسـن، سـئل "أيدالك الرجل أهله؟ " أي يماطلهم بالمهر. وكل مماطلٍ: مدالك.

والدلوك: ما دلكته من طيبٍ. وفي حديث عمر كتب إلى خالدٍ أنه "بلغني أنه أعد لك دلوك - يعني- عجن بتمرٍ". والدليك: "طعام يتخذ من الزبد والتمر لأنه يدلك باليد كقولهم: لبكته"[3].

ودَلَكَ الشيءَ بيده: مَرَسَه وعَرَكه، دَلَكَ السُنْبُلَ حتى انْفَرَكَ قِشْرهُ من حبه، ودَلَكَت المرأة العجين، ودَلَك الثوبَ باليد. وفَرَسٌ مَدْلوُك الحَرْقَفَة أي عَظْم الحَجَبَة: (حَرْف الوَرِك المشـرف على صـفاق البطن): ليس لحجَبَته إشراف فهي مَلْساء مستوية. والمَدْلوك: المصقول. دُلِكَت الأرض: أُكِلَت" [4].

أما اللغويون فقال بعضـهم: هو زوال الشـمس عن موضـعها، وهو قول ابن قتيبة والأزهري

(١) سورة النساء الآية: (١٦٦).

(٢) سورة الإسراء الآية: (٧٨).

(٣) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي: ج٢/ ص٢٠.

(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د. محمد حسن جبل: ج٢/ ص٦٧٣.

والجوهري وآخرون، وجزم الزبيدي في مختصر العين وابن فارس بأنه الزوال واختاره الأزهري والجوهري(١).

قال الأزهري: " الدُّلوكُ: الزَّوَالُ، وَلذَلِك قيل لِلشَّمْسِ إِذا زَالَتْ نصفَ النَّهارِ: دَالِكَةٌ، وَقيل لَهَا إِذا أَفَلَتْ: دَالِكَةٌ لأَنَّها فِي الحَالتَيْن زَائِلةٌ"(٢).

وقال الزبيدي: " فإِنْ قِيلَ: مَا مَعْنَى الدُّلُوكُ فِي كلامِ العَرَبِ قيل: الدُّلُوكُ: الزَّوالُ"(٣).

وقال الرازي: " وَ(دَلَكَتِ) الشَّمْسُ زَالَتْ وَبَابُهُ دَخَلَ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿آنٌ وَقِيلَ (دُلُوكُهَا) غُرُوبُهَا"(٤). وقال بعضهم: وأصْل الدُّلُوكِ: الميْل(٥).

واختار ابن قتيبة الغروب فقال: "قوله تعالى: {لِدُلُوكِ الشَّمْسِ} غروبها. ويقال: زوالها. والأول أحب إليَّ؛ لأن العرب تقول: دَلَكَ النجم؛ إذا غاب"(٦).

وكذا وقع الخلاف بين الفقهاء في المعنى؛ فقال الشافعي في البويطي والنووي؛ هو زوال الشمس، وهو قول ابن عمر وابن عباس وأنس بن مالك وأبي بردة وعائشة والحسن البصري. وقال أبو حنيفة هو

(١) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري: ج١٠/ ص٦٩. وكتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي: ج٥/ ص٣٢٩. وغريب القرآن لابن قتيبة: ص٢٥٩. ومجمل اللغة لابن فارس: ص٣٣٤. وتاج العروس للزبيدي: ج٢٧/ ص١٥٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري: ج٤/ ص١٥٨٤.

(٢) تهذيب اللغة: ج١٠/ ص٦٩.

(٣) تاج العروس للزبيدي: ج٢٧/ ص١٥٥.

(٤) مختار الصحاح للرازي: ص١٠٦.

(٥) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر الجزري ابن الأثير: ج٢/ ص١٣٠. ومعجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) لأحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق): ج٢/ ص٤٤٣، الناشر: دار مكتبة الحياة – بيروت، عام النشر: ١٣٧٧ هـ- ١٩٥٨ م.

(٦) غريب القرآن لابن قتيبة: ص٢٥٩.

الغروب وهو مروي عن علي وابن مسعود وابن زيد وهما قولان مشهوران في كتب التفسير[١].

أما المفسرون فقد توسّعوا في معنى هذه الفريدة، وأوردوا جميع الآراء فيما يقول الشيخ صديق خان: " وقد اختلف العلماء في الدلوك على قولين: أحدهما: أنه زوال الشمس عن كبد السماء قاله عمر وابنه وأبو هريرة .... واختاره ابن جرير.

والقول الثاني: أنه غروب الشمس قاله عليّ وابن مسعود وأبي بن كعب .... والحاصل أن اللفظ يجمعهما لأن أصل الدلوك الميل والشمس تميل إذا زالت وإذا غربت والحمل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به"[٢].

ورجّح الألوسي القول الأول بقوله: " وقد يستأنس في ترجيح القول الأول مع ما سبق بأن أول صلاة صلاها النبي -ﷺ- نهار ليلة الإسراء الظهر"[٣].

ويرى ابن عاشور أن الدّلوك يعمّ الظّهر والعصر والمغرب حيث يقول: " والدّلوك: من أحوال الشمس، فورد بمعنى زوال الشمس عن وسط قوس فرضي في طريق مسيرها اليومي. وورد بمعنى: ميل الشمس عن مقدار ثلاثة أرباع القوس وهو وقت العصر، وورد بمعنى غروبها، فصار لفظ الدلوك مشتركا في المعاني الثلاثة.

والغَسَقْ: الظلمة، وهي انقطاع بقايا شعاع الشمس حين يماثل سواد أفق الغروب سواد بقية الأفق وهو وقت غيبوبة الشفق، وذلك وقت العشاء، ويسمى العتمة، أي الظلمة.

---

(١) المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي)) للإمام النووي: ج٣/ ص٢٥. الناشر: دار الفكر- بدون تاريخ وطبعة.

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي: ج٧/ ص٤٣٥، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

(٣) تفسير الألوسي= روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام الألوسي: ج٨/ ص١٢٦، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

وقد جمعت الآية أوقاتا أربعة، فالدلوك يجمع ثلاثة أوقات باستعمال المشترك في معانيه، والقرينة واضحة.... فكلمة «دلوك» لا تعادلها كلمة أخرى"[١].

قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: "الدُّلُوكُ هُوَ الْمَيْلُ- فِي اللُّغَةِ- فَأَوَّلُ الدُّلُوكِ هُوَ الزَّوَالُ وَآخِرُهُ هُوَ الْغُرُوبُ ومن وقت الزوال إلى الغروب يسمى دلوكا، لأنها في حالة ميل، فذكر الله الصلوات التي في حالة «الدلوك» وعنده، فيدخل في ذلك الظهر والعصر والمغرب ويصح أن تكون المغرب داخلة في غَسَقِ اللَّيْلِ"[٢].

وهذا القول له وجاهته وقوته واعتباره وذلك لقوة أدلته.

أما عن سياق هذه الفريدة: فإنها جاءت في سياق أوامر وتوجيهات للنبي-ﷺ- بعد ذكر الله -تعالى- مكايد المشركين ومحاولاتهم الخائبة لفتنة النبي-ﷺ- واستفزازه وطرده بقوله: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ حينها أرشد الله نبيه -ﷺ- إلى خير مُعين، فأمره بإقامة الصلاة والاشتغال بعبادته، تفويضاً للأمور إلى الله، وتعويلاً على فضله في دفع شر أعدائه، وأمره ألا يشغل قلبه بهم. فالآية بإجماع المفسرين إشارة إلى الصلوات الخمس المفروضة[٣].

وقد جاء التعبير القرآني بهذه الفريدة دون غيرها لفوائد عديدة منها:

- عبّر القرآن بهذه الفريدة في هذا الموضع للدلالة على تفردها في هذه السورة فلم ترد في أي سورة أخري من القرآن، ويدل ذلك أيضا على تفرد ومكانة المأمور به. فالآية بإجماع المفسرين إشارة إلى الصلوات الخمس المفروضة، وهذا يدل على فضلها ومكانتها من بين سائر أركان الإسلام الخمس. فعن النبي-ﷺ- أنه قال: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»[٤]، فأساس الصلاة الصلة بين العبد وربه، لذا فهي لها أهمية شديدة،

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور التونسي: ج١٥/ ص١٨٢.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية: ج٣/ ص٤٧٧.

(٣) المجموع شرح المهذب للإمام النووي: ج٣/ ص٢٥.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (باب الألف، من اسمه أحمد): ج٢/ ص٢٤٠ حديث رقم (١٨٥٩) المحقق: أبو معاذ طارق ابن عوض الله بن محمد - أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة، عام

وعليه لا يجوز ترك المسلم صلاته دون عذر شرعي.

- المعنى المحوري لهذه الفريدة وهو زوال غِلَظ الشـيء (ارتفاعه أو صـلابته) أو حِدَّته (خشـونته) (بنحو العَرْك) فيكون لَيّنًا أو أَمْلَس: كعَرْك السُّـنْبل، والعَجين والثوب،... والأرض التي زال ما كان يعروها إذ أُكِل. ومنه "الدَليك: التراب الذي تَسْفيه الرياح (تحكه وتقشره من وجه الأرض)،.... ومن ذلك الأصل "دَلَكت الشمس: زالت عن كبد السماء، أو غَرَبت" وأَصْدَقُ تفسير للدلوك هو الزوال، لأنها تبدو سـاعة الظهيرة ثابتةً قائمة. ولذا قالوا عن ذلك الوقت قام قائم الظهيرة. ثم إن المعنى الأصلي يتأتى منه تفسير الدلوك بذهاب حِدّتها أي حرارتها قبل الغروب أو به [1].

وكأن المسلم بأدائه لصلاته في وقتها أزال بذلك شيئًا أو نظّفه؛ لعلّ ذلك الشيء-والله أعلم- هو ما يفهم من قول النبي -ﷺ-: "مَا مِنْ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنْ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ"[2]. وقوله-ﷺ-: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»[3].

فإن الصلاة نور فهي تَصْقُلُ القلب كما تُصْقَلُ المِرْآةُ، ثم الذكر بعد ذلك بمنزلة مسح المِرْآة وقد

النشر: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، والضياء المقدسي في المختارة، وقال إسناده حسن لشواهده: ج٧/ ص١٤٥،١٤٤، حديث رقم (٢٥٧٨). تحقيق الأستاذ الدكتور/ عبد الملك بن عبد اللاه بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت-لبنان- الطبعة الثالثة ١٤٢٠ه-٢٠٠٠م.

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د. محمد حسن حسن جبل: ج١/ ص٢٢.

(٢) ينظر: صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (كتاب الطّهارة- باب فَضْلِ الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ عَقِبَهُ): ج١/ ص٢٠٦ حديث رقم (٢٢٨). المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها)، عام النشر: ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م.

(٣) صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، (كتاب الطّهارة-باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر): ج١/ ص٢٠٩ حديث رقم (٢٣٣).

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾[١].

فَتَأمل رَحِمك الله إِلَى هَذِه الْعِبَادَة وَمَا حوت من أَسبَاب السَّلامَة وَتَحْصِيل الدَّرَجَات والفوز بالمثوبات حَتَّى يتفطّن لمؤكدات الْكتاب وَالسّنة فِي الحض عَلَيْهَا وَالِاعْتِبَار بهَا فِي غير مَا آيَة وَخبر.

- أن هذه الفريدة أوجز وأخصر مما لو قال تعالى: أقم الصلاة عندما تميل الشمس للزوال عند من يرى أنها الظهر، أو أقم الصلاة عندما تدلك الشمس في وسط السّماء على رأي من يقول إنها صلاة العصر، أو أقم الصلاة عند زوال الشمس للغروب على رأي من يذهب أنها صلاة المغرب، أو أقم الصلاة عند زوال الشمس وقت الظهر والعصر والمغرب، فعلى أي رأي من الآراء فالفريدة أوجز وأخصر.

يدل لذلك ما ذهب إليه ابن عطية والقرطبي وابن عاشور في أن هذه الفريدة من المشترك اللفظي، وهي تدلّ على الأوقات الثلاثة جملة.

وهذا من استعمال المشترك اللفظي في جميع معانيه لقيام القرينة الدّالة عليه، والتي تتمثل في أن العشاء مدلول عليها بلفظ الغسق وهو العتمة والظُّلمة، والفجر مُشار إليه بقوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾

فبقي أنّ الفريدة تدلّ على هذه الأوقات الثلاثة، وهذا من أسرار اختيارها في الآية، ولا يمكن لغيرها أن يحلّ محلّها[٢].

- يظهر من خلال سياق الآيات أن التعبير بهذه الفريدة ومجيئها على هذا النسق فيه تحذير لمن يتهاون في ذلك الرّكن الركين، وتلك الفريضة التي بدونها لا قيمة لإسلام المرء! وقد قال تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١﴾[٣]، وقال أيضًا: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ

(١) سورة الشرح الآيات: (٧،٨).

(٢)الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية-أد/ عبد الله عبد الغنى سرحان: ص٢٥٥،٢٥٤. بتصرف يسير.

(٣) سورة الروم الآية: (٣١).

وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾[1]. وقال -ﷺ- مُحذّرًا من يتهاون في ترك هذه الفريضة: ((بين الرَّجل وبين الشِّرك- أو الكفرِ- تَرك الصَّلاة)) [2].

- ورود هذه الفريدة وتفردّها في الآية التي هي الأصل في جواز الجمع بين الصلوات، والتي انطلق الفقهاء منها، سواء من قال بالجمع أم لا؛ لأن الله جعل دلوك الشمس كالوقت الواحد للظهر والعصر، وهذا مما لا يحتمله أي معنى من المعاني المرادفة لها، كذلك جعل الله -تعالى- غسق الليل كالوقت الواحد للمغرب والعشاء، لكنّ السنة فصّلت لنا وقت جواز الجمع من عدمه، وقد اختلف فيه الفقهاء اختلافًا ليس هذا وقت تحرير بيانه.

- دلّت هذه الفريدة-والله أعلم- على تفرّد أمة النبي محمد-ﷺ- بإقامة الصلوات عند دلوك الشمس مذ فرضت حتى يوم القيامة، وذلك كَون الدُّلوك سَببا للصَّلَاة؛ والمعنى أَنه إِذا وجد الدلوك وَجَبت الصَّلَاة حِينَئِذٍ، لا يشترك معهم في ذلك الوقت أمة من الأمم الغابرة والباقية، فالصلاة في هذه الأوقات تفرّد بها المسلمون عن سائر الخلق أجمعين، ذلك لأن القرآن الذي بين أيدينا لم يتحدّث عن أوقات صلوات الأمم الأخرى، وتحدّث في هذه الآية عن أوقات صلوات المسلمين؛ حيث ذكر صلاة الظهر والعصر والمغرب على أرجح الآراء في قوله: ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾، وصلاة العشاء في قوله: ﴿غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾، وصلاة الفجر في قوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ ، فاختصت صلاة الظهر والعصر والمغرب بلفظة وحيدة فريدة.

فيفهم من ذلك -والله أعلم- أن هذه الصلوات في تلك الأوقات الثلاثة قد تفرّد بها المسلمون عن سائر الأمم الأخرى التي فُرضت عليها صلوات[3]. والله أعلم

(١) سورة التوبة من الآية: (٥).

(٢) صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، (كتاب الإيمان- باب جامع أوصاف الإسلام): ج١/ ص٨٨ حديث رقم (٨٢).

(٣) الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية-أد/ عبد الله عبد الغنى سرحان: ص٢٥٥- بتصرف يسير.

المطلب السابع: الفريدة السابعة: ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾

وردت هذه الفريدة في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾[١].

وعن هذه الفريدة يقول السمين الحلبي: " قوله تعالى: ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾ أي اترك الهجود، وهو النوم، فتفعل فيه للسلب نحو: تحنث وتأثم، أي جانب الحنث والإثم. فحقيقة التهجد السهر وإلقاء النوم. ولكن المراد بالآية أخص من ذلك، وهو التنقل بالصلاة. وقوله: ﴿بِهِۦ﴾ أي القرآن في الصلاة. ومن ثمّ غلّب التهجد على التنقل بالصلاة ليلًا، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [٢].

وهَجَدَ القومُ هجودا، أي: ناموا، وتهجّدوا، أي: استيقظوا لصلاةٍ أو لأمر[٣].

وقد تهجد: إذا تيقظ. قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ أي: تيقّظ به. قال الأصمعي: سابّ أعرابي امرأته فقال: عليها لعنة المتُهَجَّدين، أَي السَّاهرين[٤].

قال ابن فارس: " هجد: قَالَ اللَّيْث: هَجَد القومُ هُجوداً: إِذا نَامُوا، وتَهجدوا: إِذا استَيْقظوا للصَّلَاة..... والهاجد: الناقم، والهاجد المصلِّي بِاللَّيْلِ.... وأهْجدتُ الرجلَ: أَنَمْتُه وهَجَّدْتُه: أيقظته"[٥]. وفي مختار الصحاح يقول: " (تَهَجَّدَ) نَامَ لَيْلًا. وَ (هَجَدَ) وَ (تَهَجَّدَ) سَهِرَ، وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ

(١) سورة الإسراء الآية: (٧٩).

(٢) سورة المزمل الآية: (٢). وينظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي: ج٤/ ص٢٤٠.

(٣) كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي: ج٣/ ص٣٨٥.

(٤) كتاب الألفاظ (أقدم معجم في المعاني) لابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (١٣٦ باب النوم): ص٤٦٧ .المحقق: د. فخر الدين قباوة، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م. والأضداد لابن الأنباري: ص٥٢ . المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم- الناشر: المكتبة العصرية، بيروت – لبنان- عام النشر: ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

(٥) تهذيب اللغة لابن فارس: ج٦/ ص٢٥.

وَمِنْهُ قِيلَ لِصَلَاةِ اللَّيْلِ: (التَّهَجُّدُ)"[1].

ولم يخرج المفسـرون في كتبهم عما سـبق بيانه، يقول الإمام الشـوكاني: " والتهجد مأخوذ من الهجود، وقال أبو عبيدة وابن الأعرابي: هو من الأضـداد لأنه يقال هجد الرجل إذا نام وهجد إذا سـهر. وقال الأزهري: الهجود في الأصل هو النوم بالليل ولكن التّفعّل فيه لأجل التجنب ومنه تأثم وتحرج أي تجنب الإثم والحرج فالمتهجد من تجنب الهجود فقام بالليل"[2].

فالتهجد معناه قطع الليل في العبادة وخاصـة الصـلاة، وقالوا: إنه سـلب الهجود أي النوم، فمادة تفَعَّل تأتي أحيانا بمعنى سـلب الفعل، فالتهجد سـلب الهجود وهو النوم والاسـتراحة كالتأثم سـلب الإثم أو إبعاده، والتحرج إبعاد الحرج إلى آخر أمثال هذه الألفاظ[3].

أما عن سياق الآية الكريمة التي وردت فيها هذه الفريدة:

فإنه تعالى لما ذكر ما كان يحاوله المشـركون ليفتنوا المؤمنين في دينهم، وتطاولوا فحسـبوا أنهم يفتنون محمدا -ﷺ- عما أوحى الله تعالى به إليه، ثم أشـار إلى ما كانوا يفعلونه لكيلا تكون له مكة مقاما ومسـتقرا، بعد ذلك أمره بالصـلاة مبينا أوقاتها له ولأمته، فقال: ﴿آ﴾، .... وبعد ذكر الله تعالى الفرائض، أشـار سـبحانه وتعالى إلى النوافل فقال ﴿ٱبى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن﴾[4]، .. فوعده ربّه في الآخرة بالمقام المحمود وهو الشفاعة العُظمى باتفاق المفسرين إذا ما أدى تلك الصلوات المفروضة، وزاد عليها النوافل[5].

(١) مختار الصحاح للرازي: ص٣٢٤.

(٢) فتح القدير للشوكاني: ج٣/ ص٢٩٨.

(٣) زهرة التفاسير للشيخ محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة: ج٨/ ص٤٤٣٨-دار النشر: دار الفكر العربي. الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

(٤) سورة الإسراء الآية: (٧٩).

(٥) زهرة التفاسير للشيخ محمد أبي زهرة: ج٨/ ص٤٤٣٦-٤٤٣٨.

وقد جاء التعبير القرآني بهذه الفريدة دون غيرها لفوائد عديدة منها:

- بيان حرص النبي-ﷺ- الشديد على عبادة ربه، ذلك؛ لأن الخطاب في الآية الكريمة موجه لرسولنا الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم؛ حتى أنه كان-ﷺ- لا يلبث أن ينام حتى يستيقظ لصلاة اللّيل، لأن التهجّد-كما يقول العلماء- لابد أن يسبقه نوم، فلو لم ينم الإنسان ولو قليلًا وصلّى لا يُقال إنه تهجّد، وأي لفظة أخرى لا يُستفاد منها هذا المعنى.

ومن ثمّ كان التهجّد أمرًا شاقًّا لا ينهض به إلا أولو العزم؛ لأنه في الوقت الذي ينام فيه الناس، ويخلدون فيه للراحة، وتتثاقل رؤوسهم عن العبادة يقوم الرسول-ﷺ- بين يدي ربه مناجيًا مبتهلًا ومتضرّعًا، فتتنزّل عليه الرحمات والبركات والفيوضات، فمن قام من الناس في هذا الوقت، واقتدى بالحبيب-ﷺ- فله نصيب من هذه الرحمات، وحظ من الفيوضات، ومن تثاقلت رأسه عن القيام فلا حظّ له"[١].

يدلّ ذلك، المعنى المحوري للفريدة؛ إذ هو يعبر عن النوم وهو تمدد مع همود وسكون بعد تعب وإرهاق... وهذا لا يكون إلا بسبب التعب والإعياء وهو شدة سلبية،... فالحقيقة أن معنى (تهَجّد): قاوم الهجود وعَالجَه- كما يقال مَرَّضَه بمعنى عالج وقاوَم مَرَضه بالأدوية ومساعدةِ المريض لا بمعنى سَلب وأزال المرض، فليس هناك سَلْب ولا إزالة للمرض[٢].

ومن ثمّ جاءت الفريدة على صيغة التفعّل للإشارة إلى أنه-ﷺ- كان يُلقى النوم عن نفسه إلقاءً ويتجنّبه تجنّبًا، وأنه كان شديد الحرص على قيام الليل والتمسّك به مما لا يضارعه في ذلك أحد البتة[٣].

- تومئ تلك الفريدة إلى أن الأمر بالتهجد كان خصّيصة لرسول الله -ﷺ- اختصه الله تعالى بها،

(١) تفسير الشيخ الشعراوي – الخواطر: ج١٤/ ص٨٧٠١ بتصرف يسير، الناشر: مطابع أخبار اليوم، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د. محمد حسن حسن جبل: ج٤/ ص٢٢٨٨.

(٣) الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية-أد/ عبد الله عبد الغنى سرحان: ص٢٥٧- بتصرف يسير.

زيادة على ما فرضــه ســبحانه عليه وعلى أمته من الأمر بالصَّــلوات الخمس وهذا غير مخصــوصٍ بالرسول -ﷺ- وإلاّ لم يكن لتقييد الأمر بالتهجُّد بهذا القيد فائدةٌ[١].

وهي واجبة في حقه-ﷺ-[٢]؛ " لأن قيام الليل قوة إيمانية وطاقة روحية، ولما كانت مهمة الرسـول-ﷺ- فوق مهمة الخَلْق كان حظّه من قيام الليل أزيد من حظهم، فأعباء الرسـول -ﷺ- كثيرة، والعِبْءُ الثقيل يحتاج الاتصـال بالحق الأحد القيوم، حتى يسـتعين بلقاء ربه على قضـاء مصـالحه... وقوله تعالى: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ النافلة هي الزيادة عما فرض على الجميع ﴿لَّكَ﴾ أي: خاصــة بك دون غيرك"[٣].

- في تلك الفريدة أيضـا -والله أعلم- إما إشـارة إلى اختصـاص نبينا الكريم-ﷺ- بإقامة صـلاة التهجد من بين الأنبياء جميعا فلم يُصلّها أحد منهم البتة؛ بدليل أنه لم يرد في الذكـــر الحكيم -صـراحة- أن الله أمر نبيا آخر من الأنبياء بقيام الليل كما أمر به المصـــطفى -ﷺ- في أكثر من آية في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾[٤]. وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ۝٤٠﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾[٦]، وإما أنهم كانوا يصـــلونها، ولكنها لم تكن مفروضـــة عليهم كما فرضت على رسولنا العظيـــم صلوات الله عليهم أجمعين، وفي كلتا الحالتين فتلك ميزة

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي: ج١٢/ ص٣٦٢ بتصرف. تفسير الرازي = مفاتيح الغيب: ج٢١/ ص٣٨٧.

(٢) ينظر: الغرر البهية في شرح البهجة الوردية لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري: ج٤/ ص٨٤، الناشر: المطبعة الميمنية، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

(٣) تفسير الشيخ الشعراوي: ج١٤/ ص٨٧٠٢.

(٤) سورة المزمل الآيات: (١،٢).

(٥) سورة ق الآية: (٤٠).

(٦) سورة الإسراء من الآية: (٧٩).

تميّز بها رسولنا العظيم، والله أعلم[١].

في هذه الفريدة مزيد بيان لمنزلة النبي -ﷺ- عند ربّه، وَكُونُ الْخِطَابُ له -ﷺ-، "لِأَنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، فَهُوَ إِذَا تَطَوَّعَ بِمَا لَيْسَ بِوَاجِبٍ عَلَيْهِ كَانَ ذَلِكَ زِيَادَةٌ فِي الدَّرَجَاتِ، وَغَيْرُهُ مِنَ الْأُمَّةِ تَطَوُّعُهُمْ كَفَّارَاتٌ وَتَدَارُكٌ لِخَلَلٍ يَقَعُ فِي الْفَرْضِ"[٢]. والله أعلم

المطلب الثامن: الفريدة الثامنة: ﴿ خَبَتْ ﴾

وردت هذه الفريدة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾[٣].

وفي ذلك يقول السمين الحلبي: "قوله تعالى: ﴿ زِدْنَٰهُمْ ﴾ سكن لهيبها. يقال: خبت النار أي انطفأ لهيبها وسكن حرّها كأنما تصور عليها خباء يسترها من رمادٍ ويغشيها"[٤].

وفي العين: " خَبَتِ النّار تخبو خَبْواً أي: طَفِئَت. وأخْباها مُخبيها. وخَبَتِ الحرب: سكنت"[٥].

وخَبَتْ حرف من الأَضْداد. يقال: خَبت النَّارُ إِذا سكنت، وخبت إِذا حميت[٦].

ولم يذهب المفسرون بعيدًا عما ذهب إليه أهل اللغة، يقول الشيخ صديق خان: "﴿ زِدْنَٰهُمْ ﴾ أي سكن لهبها بأن أكلت جلودهم ولحومهم، يقال خبت النار تخبو خبواً إذا خمدت وسكن لهبها، زاد السمين

(١)الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية-أد/ عبد الله عبد الغنى سرحان: ص٢٥٧- بتصرف يسير.

(٢) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن: ج١٠/ ص٣٠٩.

(٣) سورة الإسراء الآية: (٩٧).

(٤) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي: ج١/ ص٥١٩.

(٥) كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي: ج٤/ ص٣١٥.

(٦) الأضداد لابن الأنباري: ص١٧٥.

فإذا ضعف جمرها خمدت، فإذا طفئت بالجملة قيل همدت"[١].

وقال ابن عطية: "وقوله كُلَّما خَبَتْ أي كلما فرغت من إحراقهم فسكن اللهيب القائم عليهم قدر ما يعادون، ثم تثور، فتلك «زيادة السعير»"[٢].

والمعنى أنه "كلما سكن لهيبها، وفرغت النار من إحراقهم، زدناهم لهبًا ووهجًا وجمرًا، فيثور اللّهب من جديد، ويتكرّر الإفناء والإعادة، زيادة في عقابهم وتحسّرهم، فتلك زيادة السّعير"[٣].

أما عن سياق هذه الفريدة:

فهي إخبار من الله تعالى عن تصرّفه في خلقه ونفوذ حكمه، وأنه لا معقّب له، فمن يهده الله للإيمان فهو المهتدي إلى الحق، ومن يضلل الله، فلن تجد لهم أنصارًا يهدونهم من دون الله إلى الحق والصواب. والمقصود من ذلك هو إيناس الرسول -ﷺ-[٤].

وقد جاء التعبير القرآني بهذه الفريدة دون غيرها لفوائد عديدة منها:

- جاء التعبير بهذه الفريدة -والله أعلم- لأنها حرف من الأَضْداد. حيث يقال: خَبت النَّارُ إذا سكنت أو انطفأت، وخبت إذا حميت وتوقّدت، فهي تعد من المشترك اللفظي، لتدلّ على المعنيين اللذين ذكرا تفسيرًا لها.

- فعلى قول من يقول إن خبت بمعنى حميت أو توقُّدت؛ فإذا أَحرقتهم فلم تُبق منهم شيئًا صارت جَمْراً تتوهَّج، فإذا أَعادهم الله خَلْقًا جديدًا عاودتهم، وهذا فيه دلالة على أن ما يلاقونه لهو أقسى أنواع العذاب لهم وأشدّ في الإذلال والإهانة؛ لأنه بذلك قطع الأمل من نفوسهم، وبعث لهم خيبة الرجاء، وزاد في تحسّرهم على تكذيبهم للبعث، وهذا أدخل في الانتقام منهم.

---

(١) فتحُ البيان في مقاصد القرآن لصديق خان: ج٧/ ص٤٥٨.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية: ج/ ص٤٨٧.

(٣) التفسير الوسيط للزحيلي: ج٢/ ص١٣٨٩. الناشر: دار الفكر – دمشق-الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.

(٤) التفسير المنير لوهبة الزحيلي: ج١٥/ ص١٧٣ بتصرف.

فهؤلاء الذين أضلهم الله عن الحق وخذلهم، ولم يوفقهم للإيمان وتصديق رسوله؛ كانت العقوبة لهم على إنكارهم الإعادة بعد الإفناء بتكريرها مرة أخرى؛ ليروها عينًا، حيث لم يعملوا بها برهانا.

والمتأمل في هذا الكلام يجد أنه قد أفصح عنه قوله تعالى بعد ذلك فقال ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا ٩٨﴾[١]، يقول الزمخشري: "كأنهم لما كذبوا بالإعادة بعد الإفناء جعل الله جزاءهم أن سلط النار على أجزائهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها، لا يزالون على الإفناء والإعادة؛ ليزيد ذلك في تحسرهم على تكذيبهم البعث، ولأنه أدخل في الانتقام من الجاحد"[٢].

- والذين يذهبون إلى أَنَّ الخبوّ هو السكون فيقولون: "خَبَتْ النار، أي: ضَعُفَت أو انطفأتْ، لكن ما دام المراد من النار التعذيب، فلماذا تخبو النار أو تنطفئ؟ أليس في ذلك راحة لهم من العذاب؟ المتأمل في الآية يجد أن خفوت النار وانطفاءها هو في حَدِّ ذاته لَوْنٌ من العذاب؛ لأن استدامة الشيء يُوطِّن صاحبه عليه، واستدامة العذاب واستمراره يجعلهم في إِلْف له، فإنْ خَبتِ النار أو هدأتْ فترةً فإنهم سيظنون أن المسألة انتهت، ثم يُفاجئهم العذاب من جديد، فهذا أنكَى لهم وآلم في تعذيبهم. وهذا يُسمُّونه في البلاغة «اليأس بعد الإطماع»"[٣].

- تشير هذه الفريدة إلى أن عذاب هؤلاء الذين خذلهم الله عن إصابة الحق لا ينقطع ولا يخفف، وإن تصور في نارهم خبوًّا زيدت سعيرًا وإيقادًا، فليس في سكونها راحة لهم؛ لأَنَّ النَّار يسكن لهبها ويتضرَّم جَمْرُها؛ لقوله في موضع آخر: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ﴾[٤]، "وإِنَّما الخبوّ للأَبْدان، والتأْويل: كلَّما خبت الأَبدان زدناهم سعيرًا، أَي إِذا احترقت جلودهم ولحومهم، فأَبدلَهم الله جلودًا غيرها ازداد

(١) سورة الإسراء الآية: (٩٨).

(٢) الكشاف للزمخشري: ج٢/ ص٦٩٥.

(٣) تفسير الشيخ الشعراوي: ج١٤/ ص٨٧٦٢.

(٤) سورة الزخرف من الآية: (٧٥).

تســعُّر النار في حال عملها في الجلود المبَدَّلة"[١]؛ ولذا يقول القرطبي: "وســكون التهابها من غير نقصان في آلامهم، ولا تخفيف عنهم من عذابها"[٢].

قال ابن الأنباري: "كلَّما خبت كان خبوُّها الزيادة في الالتهاب، فما خبوُّه هكذا فلا خُبُوَّ له. كما تقول: ســأَلت فلانـًا أَن يزورَني فكانت زيارته إِيَّاي قطيعتي؛ أَي جعل القطيعة بدل الزيارة، فمَنْ زيارته قطيعة فلا زيارة له[٣].

- تشـير هذه الفريدة إلى بلاغة الخطاب القرآني الذي يتجاوز في كثير من الأحيان الصـيغة التصـريحية، فيلجأ إلى التلميح في سـياق الإشـارة لمقاصـد يرمي القرآن إلى تحقيقها، مراعاة للتأدب أحيانا، وفي أحيانًا أخرى -كما في الآية التي معنا- يكون جار على طريق الســخرية والتهكُّم من ضــلال أولئك الذين لم يستجيبوا لأمر الله، "وبادئ الإطماع المسفر عن خيبة؛ لأنه جعل ازدياد السعير مقترنًا بكل زمان من أزمنة الخبو، كما تفيد كلمة (كلّما) التي هي بمعنى كل زمان، وهذا في ظاهره إطماع بحصـول خبو لورود لفظ (الخبو) في الظاهر، ولكنه يؤول إلى يأس منه؛ إذ يدل على دوام سـعيرها في كل الأزمان؛ لاقتران ازدياد ســعيرها بكل أزمان خبوها فهذا الكلام من قبيل التمليح، وهو من قبيل قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ ﴾"[٤].

والله أعلم

(١) الأضداد لابن الأنباري: ص١٧٦.

(٢) تفسير القرطبي: ج١٠/ ص٣٣٤.

(٣) الأضداد لابن الأنباري: ص١٧٨.

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور: ج١٥/ ص٢١٨.

الخاتمة

الحمد لله ربّ العالمين، الّذي وفّقني وهداني، وأتمّ نعمته عليّ في كتابة هذا البحث، حتى وصلت إلى نهايته، بعد هذه المعايشة مع هذه السورة المباركة مدة من الزمن، أحمد الله تعالى على أن مَنّ على بختام هذا البحث، وأسأله تعالى الإخلاص والقبول، فالقرآن الكريم بحرٌ عميقٌ لم ولن يتمكّن أحدٌ من الوصول لقاعه، وهذه الفرائد أحدى صور إعجازه، ولا زالت الجهود الحثيثة تُصرف في هذا العلم العظيم، وهذا البحث ما هو إلا خطوة على طريق إعجاز القرآن الكريم وبالتحديد في فرائد سورة (الإسراء)، فتلك الفرائد القرآنية بمثابة بحر كامن من الأسرار لا ساحل له ويعجز البشر عن الوصول إلى نهايته، ولا أدعي أنني في بحثي هذا وصلت إلى هذا القدر بجهدي واجتهادي، وإنما هو بفضل المولى تبارك وتعالى وبكرمه، ولولا فضل الله تعالى ما خطت الأنامل حرفا واحدا.

وبعد فقد انتهى بي التطواف في كتاب الله؛ استقراء لهذه الفرائد، وتحليلًا واستنباطًا، وكان مما انتهى إليه البحث عدة أمور منها:

١- عدد فرائد سورة الإسراء ثمان فرائد تنوعت في اشتقاقها أسماء (دلوك)، وأفعال (جاسوا، لأحتنكنّ، خبت، فَسَينغضون، فَتهجد)، ومصدر (قاصفًا) وصفة (موفورًا).

٢- معظم فرائد هذه السورة جاءت تهديدا ووعيدا لمن يكذب بآيات الله ولمن يجادل في آيات الله بغير علم وبدون حجة.

٣- العامل الأهم من وراء هذه الدراسة هو مراعاة السياق الذي وردت فيه هذه الفريدة حسب النظم القرآني الذي اقتضى مجيئها على هذا النسق المحكم العجيب، وكان ورودها لحكم وأسرار ربما أكون وفقت إلى الوقوف على بعض أسرارها، وما فاتني فهو كثير بالنسبة لما تحويه من أسرار وإعجاز.

٤- جميع الفرائد قد تلاءمت مع سياقها وتجاوبت مع ما قبلها وبعدها، ولو حاولت وضع غيرها مكانها لأبى عليك ذاك الكلام، ورفضه المعنى العام.

٥- فرائد سورة الإسراء جاءت متوافقة مع المميزات والسمات العامة التي رسمها وحددها العلماء لمعرفة السور المكية، فقد اتسمت السورة بالحديث عن المشركين، وردّ مطاعنهم، والحديثُ عن الرَّسولِ -ﷺ-، وبيانُ مَوقِف المُشرِكينَ منه؛ وبيانُ سُنَّةِ الله سبحانَه في القُرونِ الماضيةِ الذين أهلَكَهم، وبيان أنَّ عاقبةَ الترفِ والفسقِ الدمارُ والهلاكُ. والأمر بعبادة الله سُبحانَه، والنهي عن اتّخاذ آلهة معه؛ فجاءت معظم الفرائد متوافقة مع هذه المميزات.

٦- بعض الفرائد في هذا البحث كانت عصيبة فلم تبح لي بسر تفردها، وحينذاك كنت ألتمس العون من الله تعالى وأطوف حول سياق الآية فيفتح الله عز وجل ببعض أسرارها.

٧- دلالات الفرائد في القرآن الكريم ارتبطت في الغالب بالمعنى اللغوي والتفسيري، وفي بعض الأحيان يكون المعنى اللغوي هو نفس معنى الفريدة في الآية، أو يوحي ببعض معناها.

٨- مثّلَتْ هذه (الألفاظ) ضَربًا مِن الإيقاع الطريف الأخَّاذ، والتلوين الصوتي المُبهِر؛ الممزوج بإيقاعات نظْميَّة مشحونة بنَغَمٍ وهديرٍ أمتعَ للقلوب والآذان، وأقوى تأثيراً على العقول والوجدان!

٩- القرآن الكريم كنز أسرار لا ينفد وحين تنفتح للباحث المتأمل كوّة من النور فإنه يرى عالمًا من الإيحاءات التي تساعده في معرفة أسرار القرآن الكريم.

١٠-أثبتت هذه الدراسة أن الترادف بمعنى التطابق يخلو من ألفاظ القرآن الكريم، فكل لفظة في القرآن لها معنى ووراءها أسرار كشف عن بعض منها، ولا زالت الألفاظ مليئة بالأسرار والمعاني.

١١-قابلية اللفظ القرآني وقدرته على تحمّل معاني متعددة. فهو إذن وسيلة من وسائل التوسع في التعبير عند العرب، وسبب من أسباب توفير معاني القرآن الكريم.

*****

المقترحات

١- على الباحثين أن يوجهوا أنظارهم نحو دراسة إعجاز القرآن الكريم فهو ملئ بالأسرار، بالإضافة لخدمته لكتاب الله تعالى في هذا العصر الذي تكالب فيه العلمانيون والحداثيون وشمروا عن ساعد الجد بغية الطعن في كتاب الله -ﷻ-.

٢- بذل المزيد من الجهود العلمية في موضوع الإعجاز القرآني بوجوهه المتعددة والمتجددة وتقديم دراسات حديثة وربطها بالتطور والتقدم العلميين.

٣- تقديم مشاريع قرآنية كبيرة والعمل على التنسيق بين الجهود في نشاطات بحثية مشتركة والتعاون فيما بين الباحثين والجامعات والمراكز البحثية لإنجاز تلك المشاريع العلمية.

٤- مواصلة رَصْد ظاهرة الاتّساق الدلالي للفرائد القرآنية الواردة في موضوعات أخرى، والدعوة إلى تجديد قراءتنا للقرآن الكريم ومدارسته بما يحقق تدبّره وتثويره.

٥- أقترح عمل موسوعة للفرائد القرآنية؛ لتعمّ معرفتها، وتكون بمثابة خطوة لتيسير فهم معاني القرآن الكريم والعمل به، إذ لا يوجد -على حد علمي- عمل مصنّف فيه هذا الجانب يجمع هذا الكمّ من الفرائد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

*****

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم -جل من أنزله-.

ثانيًا: كتب التفسير:

١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي – الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الخامسة، ١٤٤١ هـ – ٢٠١٩ م (الأولى لدار ابن حزم).

٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي- المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٣. البحر المحيط لأبي حيان المحقق: صدقي محمد جميل- الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ..

٤. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ) – المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة. عام النشر: جـ ١، ٢، ٣: ١٤١٦ هـ -١٩٩٦ م/ جـ ٤، ٥: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م/ جـ ٦: ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م.

٥. التبيان في تفسير القرآن لمحمد بن الحسن الطوسي- تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى عام ١٤٤١هـ.

٦. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) – الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

٧. تفسير أبي السعود- الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت-بدون طبعة وتاريخ.

٨. تفسير الألوسي= روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام الألوسي- المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٩. تفسير الشيخ الشعراوي – الخواطر-، الناشر: مطابع أخبار اليوم، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

١٠. تفسير القرآن العظيم لابن كثير- المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ.

١١. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) لأبي منصور الماتريدي- المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

١٢. التفسير المنير لوهبة الزحيلي- الناشر: دار الفكر (دمشق – سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م.

١٣. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نُخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف أ.د مصطفى مسلم- الناشر كلية الدراسات العليا، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، عام ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

١٤. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي- حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

١٥. التفسير الوسيط د وهبة بن مصطفى الزحيلي- الناشر: دار الفكر – دمشق-الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

١٦. التفسير الوسيط للدكتور محمد سيد طنطاوي- الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى عام ١٩٩٨م.

١٧. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، لمحمد أمين الهروي- الناشر: دار طوق النجاة، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

١٨. التيسير في التفسير لنجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي- المحقق: ماهر أديب حبوش، وآخرون، الناشر: دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، إسطنبول – تركيا، الطبعة: الأولى، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م.

١٩. جامع البيان في تفسير القرآن للطبري تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

٢٠. الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي- تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

٢١. الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي – الناشر: دار الفكر – بيروت، بدون طبعة وتاريخ.

٢٢. روح البيان لإسماعيل حقي- الناشر: دار الفكر – بيروت.

٢٣. زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي- المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٢٤. زهرة التفاسير للشيخ محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة: -دار النشر: دار الفكر العربي. الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

٢٥. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي- المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٢٦. فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي- عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م.

٢٧. فتح القدير للشوكاني- الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤١٤هـ.

٢٨. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري- مع الكتاب حاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري، وتخريج أحاديث الكشاف للزيلعى)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ.

٢٩. لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن- تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٣٠. لباب التفاسير لأبي القاسم محمود بن حمزة الكرماني- أصل الكتاب أربع رسائل دكتوراة بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض من عام: - ١٤٠٤ حتى ١٤٢٩هـ.

١. اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني- المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٣١. لطائف الإشارات = تفسير القشيري- المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ) – المحقق: إبراهيم البسيوني- الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر-الطبعة: الثالثة.

٣٢. محاسن التأويل للقاسمي- المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٣٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي المحاربي- المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٣٤. معالم التنزيل في تفسير القرآن لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي- المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٣٥. مفاتيح الغيب أو ما يعرف بالتفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري- الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ.

٣٦. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون طبعة وتاريخ.

٣٧. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي- تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

ثالثًا: كتب علوم القرآن وأصول التفسير:

١. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي- المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٢. الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية-أد/ عبد الله عبد الغنى سرحان-الأستاذ بجامعة الأزهر-مركز التدبر، الطبعة الأولى عام ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م-الرياض-السعودية.

٣. أسرار ترتيب القرآن للسيوطي- الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

٤. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق للدكتورة عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (ت ١٤١٩هـ): ص٤٣٨. الناشر: دار المعارف الطبعة: الثالثة، بدون تاريخ إعجاز القرآن الكريم للقاضي أبي بكر الباقلاني- مكتبة مصر.

٥. أفراد كلمات القرآن العزيز لأحمد بن فارس اللغوي- تحقيق: أد/ حاتم صالح الضامن- دار البشائر- ط الأولى ١٤٢٣هـ/

٦. آل حم غافر وفصلت دراسة في أسرار البيان أد/محمد محمد أبو موسى- ط الأولى عام: ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٩م- مكتبة وهبة-القاهرة-.

٧. البرهان في علوم القرآن للزركشي- المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

٨. بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم. (المضارع نموذجا) تأليف الدكتور كمال عبد العزيز- الناشر الدار الثقافية للنشر- القاهرة، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٩م.

٩. البيان في عد آي القرآن لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني-المحقق: غانم قدوري الحمد، الناشر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٠. التحول الصرفي إلى صيغة اسم المفعول في القرآن الكريم بين التوجيه الاعتباطي والإعجاز البياني، للدكتور كاطع جار الله سطام والدكتورة جنان ناظم حميد-بحث منشور بمجلة دولة-العراق، بدون تاريخ.

١١. جماليات المفردة القرآنية للدكتور أحمد ياسوف- الناشر: دار المكتبي – دمشق، الطبعة: الثانية سنة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.

١٢. دلائل الإعجاز في علم المعاني للإمام عبد القاهر الجرجاني- بتصرف واختصار- المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٣. دليل الألفاظ الوحيدة في القرآن، د. عصام المليجي. دار حورس للطباعة والنشر، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٢هـ.

١٤. الزيادة والإحسان في علوم القرآن لمحمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكيّ، شمس الدين، المعروف كوالده بعقيلة (ت ١١٥٠ هـ) المحقق: أصل هذا الكتاب مجموعة رسائل جامعية، الناشر: مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ.

١٥. غريب القرآن لابن قتيبة- المحقق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية)، السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

١٦. فنون الأفنان في عيون علوم القرآن لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي-دار النشر: دار البشائر - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.

١٧. الكناية في القرآن الكريم موضوعاتها ودلالاتها البلاغية، للدكتور أحمد فتحي رمضان الحياني- الناشر دار غيداء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عام ٢٠١٣م.

١٨. لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم لأبي عبيد القاسم بن سلام- [ونِسبتُه إلى أبي عُبيد خطأ]، نقله من المخطوط: خالد حسن أبو الجود.

١٩. اللغات في القرآن لعبد الله بن الحسين بن حسنون، أبو أحمد السامري، بإسناده: إلى ابن عباس: -حققه ونشره: صلاح الدين المنجد، الناشر: مطبعة الرسالة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

٢٠. مجاز القرآن لأبي عبيدة- المحقق: محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجى - القاهرة، الطبعة: ١٣٨١ هـ.

٢١. المدخل لدراسة القرآن الكريم، للأستاذ الدكتور محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت ١٤٠٣هـ) - الناشر: مكتبه السنة - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٢. مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي- دار النشر: مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٢٣. معاني القرآن لأبو جعفر النحاس- المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، عام ١٤٠٩هـ.

٢٤. معاني القرآن للفراء- المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى بدون تاريخ.

٢٥. معترك الأقران في إعجاز القرآن، لجلال الدين السيوطي- الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٢٦. مفاريد الألفاظ في القرآن الكريم-رسالة ماجستير-للباحث/ محمود عبد الله يونس-كلية اللغة العربية بالقاهرة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

رابعًا: كتب الحديث وعلومه:

١. الأحاديث المختارة للضياء المقدسي - تحقيق الأستاذ الدكتور/ عبد الملك بن عبد اللاه بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت-لبنان- الطبعة الثالثة ١٤٢٠ه-٢٠٠٠م.

٢. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني-الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ.

٣. جامع الترمذي - تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٤. صحيح الإمام البخاري - تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة - بيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، والإحالة لبعض المراجع المهمة.

٥. صحيح الإمام مسلم بن الحجاج- المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها)، عام النشر: ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م.

٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني-، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لابن الهيثمي، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م.

٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل - المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

خامسًا: كتب الفقه وأصوله:

١- الغرر البهية في شرح البهجة الوردية لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري-الناشر: المطبعة الميمنية، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

٢. المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي)) للإمام النووي- الناشر: دار الفكر- بدون تاريخ وطبعة.

سادسًا: كتب اللغة والغريب والمعاجم:

١. أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٢. الأضداد لابن الأنباري- المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم- الناشر: المكتبة العصرية، بيروت - لبنان- عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٣. تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي-تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت-المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، أعوام النشر: (١٣٨٥-١٤٢٢هـ) (١٩٦٥ - ٢٠٠١ م)، وصَوّرتْ أجزاءً منه: دار الهداية، ودار إحياء التراث وغيرهما.

٣. تهذيب اللغة للأزهري الهروي- المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٤. جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي- المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري الفارابي- تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٦. العين للخليل بن أحمد الفراهيدي- المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بدون طبعة وتاريخ.

٧. غريب الحديث لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي: - المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م.

٨. غريب الحديث لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري- المحقق: د. عبد الله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني – بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧هـ.

٩. القاموس المحيط: لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى- تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي -الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان-ط: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٠. كتاب الألفاظ (أقدم معجم في المعاني) لابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق-المحقق: د. فخر الدين قباوة، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م.

٤. الكليات لأبي البقاء الحنفي- المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

١١. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأيوب بن موسى الحسيني الكفوي- المحقق: عدنان درويش - مؤسسة الرسالة – بيروت.

٥. لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي- الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٦. مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار لجمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م.

١٢. مجمل اللغة لابن فارس القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) - دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

١٣. المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي: - المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠ م.

١٤. المحيط في اللغة لابن عباد-، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، الناشر: عالم الكتب- بيروت لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٥. المحيط في اللغة لإسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد- تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، الناشر دار الكتب-بيروت، الطبعة الأولى عام ١٩٩٤م.

٧. مختار الصحاح: لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي-المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٦. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها) الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.

١٧. المعجم الأوسط للطبراني - المحقق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد - أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة، عام النشر: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٨. معجم الفرائد القرآنية-باسم سعيد البسومي-مركز نون للدراسات والأبحاث القرآنية ١٤١٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٩. المعجم الكبير للطبراني- المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية. ويشمل القطعة التي نشرها لاحقا المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد ١٣ (دار الصميعي- الرياض/ الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م).

٢٠. معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) لأحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق) - الناشر: دار مكتبة الحياة – بيروت، عام النشر: ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م.

٢١. المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني- المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

٢٢. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الجزري- تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي. الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

سابعًا: كتب التراجم والطبقات:

١. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي-المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.

٢. سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي- تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٣. معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم للمؤلف محمد أبو المحاسن عصفور-الناشر: دار النهضة العربية -بيروت- لبنان.

ثامنًا: كتب الأدب:

١- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لعبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع البغدادي ثم المصري (ت: ٦٥٤هـ) - تحقيق: الدكتور حفني محمد شرف الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.

تاسعًا: الصحف والمجلات والدوريات العلمية ومواقع الانترنت وعلوم أخرى:

٨. الأصول المنهجية لإعداد البحوث العلمية د. أحمد عبد الكريم سلامة- الناشر دار النهضة العربية، الطبعة الأولى عام ١٩٩٩م.

٩. الإعجاز في تقسيم الرياح البحرية د. صالح بن عبد القوي- بحث ضمن المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة. الناشر دار جياد للنشر والتوزيع- المملكة العربية السعودية- الطبعة الأولى عام ١٤٣٣ه-٢٠١٢م.

١٠. جدول تاريخي في مقدمة الكتاب المقدس طبعة دار الشرق.

١١. الخطاب القرآني في شخصية الرسول الكريم محمد-ﷺ-، للدكتور عدنان جاسم محمد الجميلي- الناشر دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، الطبعة الأولى عام ٢٠١٢م.

١٢. ديوان أبي نواس (الحسن بن هانئ) - تحقيق وشرح: أحمد عبد المجيد الغزالي ط. دار الكتاب العربي. بيروت .١٩٨٤م.

١٣. رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا لعبد الرحمن محمود.

١٤. سفر أرميا.

١٥. فرائد اسم الفعل في القرآن الكريم دراسة بلاغية- د/ السيد محمد سالم مجلة جامعة المدينة العالمية-العدد الثاني عشر٢٠١٥م.

١٦. القرآن الكريم والمشترك اللفظي د. أحمد عزوز، الناشر: مجلة الوعي الإسلامي - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، تاريخ النشر: ٢٠١٢م.

١٧. من بلاغة التعبير اللفظي في الخطاب القرآني "دراسة تحليلية" للدكتور شومة محمد البلوي- بحث منشور بمجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد ١٢ العدد ١ بتاريخ ٢٠١٥م.

١٨. من بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم د/ محمد السيد سالم-مجلة جامعة المدينة العالمية- العدد العاشر.

١٩. مناهج البحث العلمي. -أد/ محمد سرحان على المحمودي-ط الثالثة -١٤٤١هـ - دار الكتب - اليمن -صنعاء.

٢٠. المنهجية في إعداد الرسائل والأبحاث القانونية د. صلاح الدين فوزي- الناشر دار النهضة العربية، القاهرة، بدون طبعة عام ١٩٩٩م.

٢١. ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

فهرس المحتويات

مقدمــة ٧
المبحث الأول: التَّعرِيف بسُورة الإسراء ١١
المبحث الثاني: بين يدي الفرائد ٢٣
المطلب الأول: تعريف الفرائد لغةً واصطلاحًا ٢٣
المطلب الثاني: الفرائد في الدراسات السّابقة: ٢٥
المبحث الثالث: فرائد سورة الإسراء ٢٩
المطلب الأول: الفريدة الأولى: ﴿ فَجَاسُواْ ﴾ ٢٩
المطلب الثاني: الفريدة الثانية: ﴿ فَسَيُنغِضُونَ ﴾ ٣٦
المطلب الثالث: الفريدة الثالثة: ﴿ لَأَحۡتَنِكَنَّ ﴾ ٤٥
المطلب الرابع: الفريدة الرابعة: ﴿ مَّوۡفُورٗا ﴾ ٥٥
المطلب الخامس: الفريدة الخامسة: ﴿ قَاصِفٗا ﴾ ٦٢
المطلب السادس: الفريدة السادسة: ﴿ لِدُلُوكِ ﴾ ٧٠
المطلب السابع: الفريدة السابعة: ﴿ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ ﴾ ٧٧
المطلب الثامن: الفريدة الثامنة: ﴿ خَبَتۡ ﴾ ٨١
الخاتمة ٨٥
المقترحات ٨٧
قائمة المصادر والمراجع ٨٨
فهرس المحتويات ١٠٠